لغز شاطئ السموم



محمود سالم

لغز شاطئ السموم

تأليف
محمود سالم



لغز شاطئ السموم

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٤٩٣ ٠

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٥.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

ذو النظارة السوداء	٧
المطاردة	١٣
مفاجأة كاملة	١٩
شيء في السنارة	٢٥
«تختخ» يغرق	٣١
«زنجر» يجد شيئًا	٣٧
٤ زجاجات باردة!	٤٣
حياة أو موت	٤٩

ذو النظارة السوداء

أخذت سيارة الأتوبيس الضخمة تخفض من سرعتها، وقال الكمساري: ركاب «سيدي عبد الرحمن» يستعدون ... وبدأت حركة وقوف داخل الأتوبيس للركاب النازلين ... وبينهم كان المغامرون الخمسة.

كان لكلٍّ منهم مهمة محددة في حمل الأمتعة ... «محب» و«عاطف» يحملان الخيمة القماش الكبيرة ... «تختخ» يحمل البطاطين والملاءات ... «نوسة» تحمل أدوات المطبخ ... «لوزة» تحمل الأشياء الصغيرة ... ترمس المياه المثلجة، والكاميرا، وحقيبة صغيرة بها أوراق وأقلام ... «زنجر» كان يحمل راديو «ترانزستور» صغيرًا ...

وتوقَّفت السيارة الضخمة عند نقطة المرور ... وبدأ نزول الركاب، وسرعان ما كان المغامرون الخمسة ينفِّذون الخطة الموضوعة لحمل الأمتعة ... وبعد دقائقَ كانوا يقفون على الطريق وحدهم، فقد اتَّجه بقية الركاب الذين نزلوا في «سيدي عبد الرحمن» إلى الفندق الكبير الفاخر. ونظر الأصدقاء حولهم وأشار «تختخ» إلى بحيرة صغيرة من الماء تكوَّنت بين البحر والشاطئ الأزرق الجميل، وقال: ما رأيكم؟ إنه مكان لطيف لإقامة الخيمة!

واتجهوا بما يحملون إلى حيث أشار «تختخ» ... كانت الشمس عالية، تُصلي الأرضَ والبحر نارًا حامية، وأخذ العرق يطفر على وجوه المغامرين وهم يسيرون ببطء إلى حيث أشار «تختخ». كانت المسافة بين محطة الأتوبيس حيث نزلوا وبين النقطة التي أشار إليها «تختخ» تزيد على كيلومتر، وتحت الأثقال التي كانوا يحملونها بدت المسافة لـ «لوزة» وكأنها عشرون كيلومترًا ... الأرض ساخنة ... الهواء ساخن ... الريح تحمل إلى وجوههم وأذرعهم وأقدامهم ذرَّات الرمال القاسية تلسعهم ... وفكَّرت «نوسة»: أنها بداية غير موفقة للرحلة.

ولكن «عاطف» بروحه المرحة الساخرة قال: حضرات المغامرين، لقد نسينا شيئًا مهمًّا؟

قال «محب» وهو يعوج رأسه تحت ثقل الخيمة: ما الذي نسيناه؟

عاطف: نسينا أن نحضر معنا حمالين.

لم يضحك أحد، فعاد «عاطف» يقول: إنكم لا تضحكون ولا تشجعونني، ولن أقول لكم نكتًا أخرى ... تعالَ يا «زنجر» بجواري أنت، إنك الوحيد الذي يفهم النكت.

واضطُرَّ المغامرون للضحك، عندما وجدوا «زنجر» يتقدَّم فعلًا، ويمشي بجوار «عاطف»، وكأنه يريد أن يسمع نِكاته فعلًا.

وأخيرًا وصلوا إلى البقعة التي أشار إليها «تختخ»، وقالت «نوسة»: لماذا هذا المكان يا «تختخ»؟

تختخ: لقد نزل به عدد من أصدقائي، وأُعجبوا به ... إنكم تعرفونهم ... «أشرف» و«ياسر» و«أمين» و«ماهر» و«زكي» و«جمال».

لوزة: ولكنهم عادوا جميعًا مرضى، وبخاصة «أشرف» الذي أصيب بالتهاب عنيف في فمه.

تختخ: ذلك لأنهم لم يضعوا خطة دقيقة لرحلتهم ... ولكني وضعت الخطة ولم أنسَ شيئًا.

عاطف: لقد نسيت شيئًا واحدًا ... هو أن الدنيا حرٌّ جدًّا!

وألقى الأصدقاء بما يحملون على الرمال الناعمة ... ثم بدءوا في دقِّ أوتاد الخيمة، وبعد ساعة كانت الخيمة مُجهَّزة، ودخل الأصدقاء إليها يُرتِّبون كل شيء؛ البطاطين على الأرض، المفارش ... «نوسة» اختارت جانبًا بجوار الخيمة ووضعت أدوات الطعام ... وأخذت «لوزة» تسوِّي الرمال هنا وهناك وأسرعت بإحضار بعض المياه من البحيرة الصغيرة ورشَّتْها على الرمال حتى لا تتناثر على الطعام.

وأخيرًا جلسوا داخل الخيمة الكبيرة يرتاحون من الرحلة التي بدأت في الصباح الباكر من القاهرة، وانتهت قُرب المساء في «سيدي عبد الرحمن» على الشاطئ الغربي لمدينة الإسكندرية ... قرب الطريق الصحراوي بين جمهورية مصر العربية، والجمهورية العربية الليبية.

قال «تختخ»: لقد كانت معجزة أن نقنع آباءنا وأمهاتنا بالموافقة على القيام بالرحلة!

عاطف: لقد تحقَّقت المعجزة الأولى، وبقيَ أن تتحقق المعجزة الثانية وهي أن نقضيَ رحلة طيبة هادئة بعيدة عن المغامرات والألغاز، وغيرها من مشاكلنا التي لا تنتهي، وبخاصة أننا على بعد مئات الكيلومترات من الشاويش «فرقع»!

قالت «لوزة» وهي تضحك: من يدري ... لعلنا نجد الشاويش قد حضر هو الآخر إلى «سيدي عبد الرحمن» ... ليقضي إجازته!

عاطف: ويقع الشاويش في مشكلة، ونذهب نحن إليه ... ويتهمنا بأننا سببها، ثم نكتشف أن لصًّا خطيرًا خلف المشكلة ... ويستنتج «تختخ» أن اللص مختفٍ في شكل مهرج ... وأنه يعمل في سيرك ... و...

وقاطعته «لوزة»: ماذا تقصد بهذا الكلام؟! هل تريد أن تقول إننا نحب الوقوع في مشاكل! هل تريد ...؟!

وقاطعتها «نوسة» قائلة: لا داعي يا «لوزة» لكي تغضبي!

وقاطعها «تختخ» بصوت كالرعد: من فضلكم جميعًا ...

وسكتوا ... ونظروا ناحية «تختخ» في دهشة ... فقال في صوت منخفض: أريد أن آكل!

وانفجروا جميعًا ضاحكين ... وقال «محب»: لقد نسينا أننا لم نتغدَّ بعد، وما زال عندي بعض المأكولات المطهية التي أحضرتها من المعادي ... وسنأكل بعد دقائق!

فقال «تختخ»: سنتركك يا «نوسة» مع «لوزة»، ونذهب إلى البحر، فليس هناك ما يزيل التَّعب مثل غطس في المياه الباردة.

وأسرع الأولاد الثلاثة يلبسون المايوهات واتجهوا للبحر وخلفهم «زنجر»، وكانت الشمس قد انحدرت في الأفق ناحية الماء ... فصبغتْه بلون شديد الاحمرار. وألقى الأولاد الثلاثة بأجسادهم المتعبة في الماء المنعش.

وتردَّد «زنجر» قليلًا ثم تبعهم.

بعد ربع ساعة ظهرت «لوزة» على باب الخيمة ... ووضعت يديها على فمها بشكل البوق وصاحت: الطعام مُعَد!

قضى الأصدقاء نحو ساعتين بعد الطعام يتحدثون عن رحلتهم، وعن الأيام المقبلة ... ثم استسلموا للنوم بعد رحلة اليوم الطويل المنهكة، وتركوا أمر الحراسة لكلبهم الأسود الذكي الذي قبع أمام الخيمة وهو يدرك مهمته تمامًا ... ولكن «زنجر» لم يقم بأي نشاط في

تلك الليلة، فقد مرت هادئة ... وعندما بدأت أشعة الشمس تتسلل مرة أخرى إلى العالم كانت «نوسة» أول من استيقظ من المغامرين ... ففتحت باب الخيمة، واستقبلها «زنجر» بحماس ومضت معه إلى الشاطئ، وأخذت تسير ناحية الفندق الضخم الذي كان يبعد عنهم بنحو كيلومترين ...

مضى «زنجر» يطارد «الكابوريا» الصغيرة التي تظهر دائمًا مع شروق الشمس من الشقوق الرفيعة قرب المياه ... وكانت «نوسة» تمشي في المياه الضحلة، وهي ترقب الأصداف التي تلقيها الأمواج على الرمال، وبين فترة وأخرى كانت تجد بعض قطع الأخشاب، والعلب الفارغة، ولمبات الكهرباء المحترقة، وأشياء أخرى صغيرة، كانت تعرف أنها من مُخلَّفات السفن.

واقتربت «نوسة» من الفندق الكبير ... وكان بعض نزلائه قد استيقظوا مبكرين مثلها، ومضَوْا يقطعون الشاطئ مشيًا، وهي رياضة ممتازة ...

وعندما كانت «نوسة» تلتقي بهم كانت تبادلهم تحية الصباح ... وعندما قررت العودة لاحظت على مَبْعدة من الفندق سفينة صغيرة من عابرات البحار ... بيضاء ... قد ألقت مراسيَها على مَبْعدة نحو ثلاثة كيلومترات من الشاطئ ... وتمنَّت لو كان لدى المغامرين سفينة مثلها.

واستدارت «نوسة» عائدة إلى الخيمة ... و«زنجر» خلفها يجري هنا، وهناك، ورأت «لوزة» تقف على باب الخيمة تنتظرها ... ثم رأتها تجري ناحيتها في مرح والتقت الصديقتان، ووقفتا تعبثان بالمياه وتضحكان ... وظلتا هكذا حتى برز قرص الشمس في جانب الأفق، فقالت «نوسة»: هيا نُعد طعام الإفطار للأصدقاء!

لوزة: وما هو إفطار اليوم؟!

نوسة: فول مدمس بالزيت والليمون ... بيض مسلوق وشاي!

لوزة: والغداء؟

نوسة: سيحاول الأصدقاء صيد السمك ... فإذا نجحوا يكون سمكًا مشويًّا، وإذا فشلوا، ففاصوليا محفوظة ... وطبق أرز.

لوزة: أرجو أن ينجحوا ... فكم أتمنى تناوُلَ أكلةٍ من السمك الطازَج.

انهمكت «نوسة» و«لوزة» في إعداد الإفطار ... واستيقظ المغامرون الثلاثة وقرَّروا نزول البحر قبل الإفطار.

لوزة: ستصابون ببرد!

ردَّ «محب» بمرح: إن الذين يصابون بالبرد هم النائمون تحت الأغطية، أما الذين يعرِّضون أجسامهم لأشعة الشمس والهواء فإنهم يأخذون حصانة ضد البرد.

وبرغم أن هذه النظرية صحيحة، إلا أن «محب» عاد من البحر وهو يعطس، وتناولته قفشات الأصدقاء هو ونظريته ... وبعد تناول الإفطار خرج «تختخ» و«عاطف» و«نوسة» و«لوزة»، وبقي «محب» ومعه «زنجر».

كان «تختخ» يحمل سنَّارة الصيد ... وكذلك «عاطف»، واتَّجه الأربعة ناحية الفندق حسب إرشادات «تختخ» الذي قال سنبحث عن مكان تحيط به الصخور ... فالأسماك عادة تعيش في تلك المناطق ... ومرَّ بهم شخص يلبس نظارة سوداء، ويسير مستغرقًا في التفكير ... ونظر إليه «تختخ» طويلًا ثم التفت إلى الأصدقاء قائلًا: هذا الرجل!

قال «عاطف» متسائلًا: هل رأيناه من قبل؟!

تختخ: هذا ما فكَّرتُ فيه!

لوزة: إنه كمَن يتخفَّى عن الأعين خلف هذه النظارة!

تختخ: ليس هذا دليلًا يا «لوزة» ... فعادة يضع الناس النظارات السوداء في الصيف حمايةً لأعينهم من وَهَج الشمس ... وبرغم هذا ... فإنني متأكد أنني رأيت هذا الرجل من قبل.

نوسة: لعلك قابلته في قطار المعادي أو أي مكان آخر.

تختخ: لا ... إنني قابلتُه في مغامرة من مغامراتنا!

صاحت «لوزة»: لعله لص هارب ... هيَّا نعود خلفه!

نوسة: والسمك؟

لوزة: لنأكل أي شيء آخر!

قال «تختخ» وهو يعطي سنارته لـ «نوسة»: اذهبوا أنتم إلى مكان صيد السمك ... وسأتبع أنا هذا الرجل وأعود إليكم.

وغادرَهم «تختخ» وشاهدوه وهو يُسرِع الخُطَى على الشاطئ خلف الرجل ذي النظارة السوداء.

المطاردة

أسرع «تختخ» خلف الرجل محاولًا تركيزَ ذهنه ليتذكر أين رآه من قبل، وكان يسأل نفسه ... لو كان لصًّا ... فماذا يفعل؟ هل يطارده؟ هل يبحث عن نقطة الشرطة ويُبلغ عنه؟! إن واجبه أن يفعل ذلك، برغم أنه كان يتمنَّى أن يقضيَ إجازة هادئة ... وكان الرجل يمشي بسرعة ... واقترب من الفندق ثم نظر حوله ... فانحنى «تختخ» على الرمال متظاهرًا بأنه يجمع الأصداف كما يفعل المصطافون عادة.

عاود الرجل المسير واتجه إلى صف المظلات الذي يملأ الشاطئ أمام الفندق، ولاحظ «تختخ» أنه اقترب من إحدى المظلات وكان يجلس تحتها رجل بمفرده ... وتظاهر الرجل ذو النظارة أنه تعثَّر في مشيته، بحيث قام الرجل الآخر ومدَّ له يده، ولم يشكَّ «تختخ» لحظةً أنهما تبادلا حديثًا خاطفًا ... وربما سلَّم أحدهما للآخر ورقة مكتوبة ... فقد بقيت يداهما إحداهما في الأخرى أطول مما ينبغي، ثم استمر الرجل في سيره ... وأثارت هذه الحركة فضول «تختخ» فقرَّر أن يستمر في المطاردة ... لقد أصبح متأكدًا أن خلف الرجل ذي النظارة السوداء ما يريب ... وإن كان لا يعرف ما هو.

ووصل الرجل إلى منطقة ازدحام المصطافين في الفندق الكبير ... وظل «تختخ» يراقبه حتى جلس تحت إحدى المظلات وحده. ثم مد يده إلى غطاء المظلة وأخرج كتابًا أخذ يقرأ فيه ... ولكن «تختخ» تأكَّد مرة أخرى أنه لا يقرأ بل يراقب المستحمين في الماء ... والسائرين على الشاطئ ...

ظلَّ «تختخ» في مكانه نحو ربع ساعة، ولم يتحرك الرجل من مكانه ... وقرر «تختخ» الانصراف سريعًا إلى الأصدقاء ... لعلهم يستطيعون صيد بعض السمك قبل أن ترتفع الشمس ويصبح الصيد أشد صعوبة ... فالسمك في الصيف — إذا أحسَّ بحرارة الشمس — غاص إلى الأعماق ... ولا تستطيع سناراتهم الصغيرة الوصول إليه.

عندما وصل «تختخ» إلى الأصدقاء، وجد سنارته في يد «نوسة» تحاول إلقاء خيط النايلون الشفاف بعيدًا فلا تستطيع، وعندما رأَوْه قالت «لوزة»: هل عرفت الرجل؟

رد «تختخ»: لا، ولكنني متأكد من شيئين ... أولًا: أنني أعرفه وقابلته قبل الآن ... وثانيًا: أنه يقوم بعمل ما مريب!

نوسة: وماذا دفعك لأنْ تستريبَ فيه؟

تختخ: إنَّ له زميلًا، ولكنهما يتظاهران بأن أحدهما لا يعرف الآخر ... وبينهما اتِّفاق على أسلوب الكلام أو إيصال الرسائل دون أن يشكَّ فيهما أحد ... وفي الوقت نفسه يقوم بمراقبة المستحمين مراقبةً دقيقة ... ويبدو أن له صديقًا ثالثًا كان في الماء سيتصل به بشكلٍ أو بآخر!

لوزة: إنهم عصابة إذن!

تختخ: ليس هذا ببعيد ...

لوزة: أي نوع من العصابات يا ترى؟

تختخ: لا أدري ...

وانهمك «تختخ» في الصيد، ألقى الخيطَ وفي طرفه السنارة بعيدًا ثم جلس ينتظر.

وكان «عاطف» هو الآخر قد فعلَ الشيءَ نفسه ... ومضت الدقائق بطيئة دون أن يهتزَّ الخيط، وقالت «نوسة» التي كانت تتسلَّى بقراءة رواية: يبدو أننا سنتغدَّى فاصوليا!

ولكن لم تكد «نوسة» تنتهي من جملتها الساخرة حتى جذب «تختخ» سنارته وبها سمكة من نوع «الميرمار» الفضية المخططة باللون الأسود ... ولمعت السمكة في الشمس و«تختخ» يجذبها نحوه، فقالت «لوزة»: يا سلام ... شكلها جميل جدًّا ... خسارة أن تُشوى!

وكأنما شاء «عاطف» أن يثبت هو الآخر أنه صيَّاد ماهر ... فقد جذب سنارته وبها سمكة بنية اللون، أصغر حجمًا من سمكة «تختخ». قالت «نوسة»: إنها سمكة غريبة حقًّا!

تختخ: نعم ... ويسمونها «بطاطا».

نوسة: إنها تشبه حبة البطاطا فعلًا ...

وخلال ساعتين اصطاد «تختخ» و«عاطف» كمية لا بأس بها من السمك، وقالت «لوزة»: لقد حقَّق الله أملي وسنتغدَّى سمكًا مشويًّا!

وقال «تختخ» وهو يلمُّ سنارته: هيَّا بنا ... لقد ارتفعت الشمس، وسيكون من الصعب الوصول إلى سمكة بعد ذلك.

وأخذوا طريقهم عائدين إلى الخيمة، و«زنجر» خلفهم يهز ذيله مرحًا ... وعندما مروا بالمصطافين على الشاطئ، اجتمع حولهم عدد كبير يتفرجون على السمك، ويُبدون إعجابهم به ... وعرض رجل ضخم البطن على المغامرين أن يشتريَ منهم السمك، وكعادة «عاطف» جاراه في حديثه قائلًا: وكم تدفع يا سيدي؟

رد الرجل وعيناه تنظران إلى السمك بشراهة: أدفع خمسة وسبعين قرشًا!

هزَّ «عاطف» رأسه قائلًا: لقد عرضتْ علينا سيدة جنيهًا كاملًا!

أخذ الرجل يمسح شفتيه بلسانه وهو ينظر إلى السمك في يد «لوزة» وقال: أدفع عشرة قروش زيادة.

عاطف: هل تقصد خمسة وثمانين، أم مائة وعشرة؟

ترك «تختخ» «عاطف» يُعابث الرجل؛ لأنه كان مهتمًّا بفحص المصطافين حوله. كان يبحث عن الرجل ذي النظارة السوداء، ولكن لم يكن له أثر ... وهكذا أشار «تختخ» بطرف عينه إلى «عاطف»، فأمسك السمك من «لوزة» ومشى وخلفه الأصدقاء والرجل السمين يصيح خلفهم: أدفع مائة وعشرين قرشًا!

ولكن «عاطف» أشار له بيده رافضًا هذا السعر ... وقالت «نوسة» تعاتبه: لماذا تعبث برجل مثل والدك يا «عاطف»؟!

عاطف: وهل عبثتُ به؟ لقد أراد أن يشتريَ السمك، ولكن السعر الذي عرضه لم يناسبني ... هذا كل ما في الموضوع!

نوسة: وهل لو عرض سعرًا أكبر كنت تقبل؟

عاطف: طبعًا!

نوسة: وكم كنت تقبل؟

عاطف: مائة جنيه مثلًا، فنعطيه السمك، وننزل في فندق «سيدي عبد الرحمن» بدلًا من هذه الخيمة!

لوزة: يا لك من مهزار سخيف!

وضحك «عاطف» واقتربوا من الخيمة ... وكان «محب» يجلس أمامها وقد بدا عليه الضيق، فلم يكد يراهم حتى صاح: كدت أظن أنكم لن تعودوا أبدًا!

عاطف: لا تغضب، لقد كدنا نصبح أغنياء ... لولا ...

محب: لولا ماذا؟

عاطف: لولا أن الرجل السمين رفض!

وكاد «محب» يواصل الحديث لولا أن «نوسة» قاطعته قائلة: دعك من «عاطف» ... فهو يبدو اليوم وكأنه يهوَى تعذيبَ الناس!

وفجأة أشارت «لوزة» إلى شخص يسير على مَبْعدة، وقالت: الرجل ذو النظارة السوداء!

لم يكد «تختخ» يسمع ما قالته «لوزة» حتى التفت مسرعًا وشاهد الرجل فعلًا في قميص أزرق، وسروال رمادي، وحذاء أبيض يسير بنشاط في اتِّجاه شريط السكة الحديد الذي يمتد خلف مسجد «سيدي عبد الرحمن»، وقال «تختخ»: أعدُّوا الغداء، وسوف أعود بعد أن أرى أين يذهب هذا الرجل.

وتركهم «تختخ» ومضى يسير خلف الرجل على مَبْعدة، وبدا واضحًا أنه يسير فعلًا — كما استنتج «تختخ» — إلى حيث ضريح «سيدي عبد الرحمن» ... كانت الشمس حارة والرمال ساخنة ... ولكن «تختخ» لم يتردد وقرر متابعة الرجل. وظلَّا يسيران نحو ساعة حتى وصل الرجل إلى قرب ضريح «سيدي عبد الرحمن»، حيث يوجد الشارع الوحيد في ذلك المكان ... شارع صغير لا يزيد عرضه على عشرة أمتار ويمتد نحو مائة متر، وتصطفُّ على جانبيه محلات البيع ... وينتهي بمسجد وضريح «سيدي عبد الرحمن» الذي سُميت المنطقة باسمه.

سار الرجل متسكعًا أمام المحلات، ثم دخل إحداها وغاب قليلًا و«تختخ» يقف على مَبْعدة يرقبه ... ثم سار الرجل مرة أخرى ودخل محلًّا آخر. كانت جميع محلات الشارع بما فيها محلات البقالة والأقمشة تبيع في الوقت نفسه لحم الماعز، وهي ملاحظة أدهشت «تختخ»، ثم نسيَها عندما خرج الرجل ذو النظارة السوداء واتَّجه إلى المسجد، وكان ثمة شحاذ يجلس أمامه، لاحظ «تختخ» أنه لم يكد يرى الرجل حتى وقف وأمسك بعكازه، وانطلق خلفه وهو يطلب منه حسنة لله.

كانت مطاردة الشحاذ للرجل قصيرة، فسرعان ما توقَّف ذو النظارة السوداء ووضع يده في جيبه، واقترب الشحاذ منه أكثر ... وتظاهر بأنه يرفع يديه للسماء ويدعو له، وفي الوقت نفسه كان ذو النظارة يضع له شيئًا في جيبه ... ولو شاهده شخص آخر غير «تختخ» لظنَّ أنه يضع له بضعة قروش.

وانحنى الشحاذ وبدا أنه يهمس ببضع كلمات في أذن الرجل، ثم افترقا ... وعاد الرجل يقطع الطريق عائدًا، وتمهَّل «تختخ» قليلًا، ثم غادر السوق الصغيرة وبدأ طريق العودة خلف الرجل، وقد تنبَّهت كلُّ حواسه لما يحدث، لقد أصبح متأكدًا أن شيئًا غامضًا يدور في «سيدي عبد الرحمن» ... وأنه والأصدقاء — برغم كونهم في إجازة — فلا يمكنهم أن يتركوا ما يحدث يمر دون تدخُّل وكشف الحقيقة.

كان الرجل يسير بنشاط حسده عليه «تختخ»، وسرعان ما اختفى في اتجاه الفندق على حين اتَّجه «تختخ» إلى الخيمة حيث شاهد خيطًا من الدخان يرتفع أمامها فعرف أن الأصدقاء قد بدءوا شيَّ السمك ... وسال لعابُه، وأحسَّ بمعدته تتقلص، فقد كان مثل «لوزة» يحبُّ السمك جدًّا ...

أسرع «تختخ» حتى وصل إلى الخيمة ... وكان الأصدقاء يحيطون بفرن صغير صنعه «محب» من بعض الأحجار ... وقد أشعلوا تحته بعض الأخشاب، وبدا السمك شهيًّا.

قال «محب»: ماذا فعلت؟

وروى لهم «تختخ» تفاصيل رحلته السريعة خلف الرجل، وما شاهده في السوق الصغيرة عند مسجد «سيدي عبد الرحمن»، ثم قال: سأظل أتبعه حتى أعرف ماذا يفعل ... وأظن أننا سنجده غدًا صباحًا يسير في رياضته المعتادة ... وسوف أتبعه، فقد عرفت جزءًا من نشاطه.

قالت «لوزة»: إذن سنشترك في مغامرة جديدة؟!

تختخ: في الحقيقة أنني متردِّد جدًّا.

مفاجأة كاملة

تناول الأصدقاء غداء شهيًّا من السمك ... وأخذوا يتبادلون الضحكات وقد أحسوا بالسعادة والانتعاش ... ثم قال «تختخ»: سأمضي ناحية الفندق لعلني أجد الرجل مرة أخرى.

محب: اسمع يا «تختخ»، إننا لا نسمح لك بالاشتباك مع رجل لمجرد أنك تشتبه في أنك تعرفه ... إنك تُعرِّض نفسك للخطر!

تختخ: وأعرضكم أيضًا؟

محب: طبعًا ... وبخاصة أننا بعيدون عن مصر وعن المفتش «سامي»، وقد نجد أنفسنا قد وقعنا في صراع لا نعرف مداه.

تختخ: معك كل الحق.

محب: إنك تعرف طبعًا أني لا أخاف أحدًا ... ولكن هناك حدودًا لكل شيء!

سكت «تختخ»، وقالت «نوسة» حتى تعيد الصفاء إلى الأصدقاء: ألا نلعب دور «شِطْرنج» بدلًا من هذه المناقشة؟

تحمس «تختخ» جدًّا للفكرة، فقد كان يريد أن ينسى هذا الرجل الذي يكاد يُفسد عليه وعلى الأصدقاء رحلتهم.

دارت معركة الشِّطْرنج بين «محب» و«تختخ»، وكالعادة، ارتفع التصفيق لكل لعبة جيدة ... واستغرق دور الشِّطْرنج أكثر من ساعة ... وانتصر «محب» في النهاية برغم البرد الذي كان يعانيه.

وقضى الأصدقاء أمسية هادئة داخل الخيمة ... فقد هبَّتِ الريح بعد الظهر، وارتفعت الأمواج في البحر، ولم يكن في إمكانهم الذهاب إلى الشاطئ ولا البقاء خارج الخيمة ... فقد كانت الرياح تحمل الرمال بسرعة رهيبة تجعلها كالدبابيس إذا أصابت جلد إنسان ... حتى «زنجر» دخل الخيمة هو الآخر.

ومضت ليلة ثانية، وفي الصباح خرج الأصدقاء مبكرين لصيد السمك مرة أخرى ... ولكنهم ما كادوا يتقدمون من الشاطئ حتى قابلوا الرجل ذا النظارة، ووجد «تختخ» نفسه دون أن يدريَ يترك الأصدقاء ويتابع الرجل ... وطلب من الأصدقاء أن يسبقوه إلى مكان الصيد.

كان «تختخ» متأكدًا أنه رأى هذا الرجل من قبل ... برغم لونه الذي غيَّرته الشمس ... والمايوه والنظارة السوداء ... وهكذا مضى خلفه، متظاهرًا أنه يعبث في المياه بقدميه، ولكن عينيه كانتا تتبعان الرجل الذي اتَّجه إلى الفندق مباشرة، ودخل من الباب الكبير المطل على البحر.

توقف «تختخ» قليلًا يفكر، ثم سأل نفسه: لنفرض أنني عرفت هذا الرجل، فماذا يهمُّ؟ لقد جئت هنا للراحة لا للمغامرة ... فإذا اتَّضح أنه لصٌّ مثلًا ... هل أضيِّع إجازتي في مطاردته ... وبخاصة في هذا المكان البعيد؟! إن هذا قد يعرِّض المغامرين للخطر كما قال «محب» ... سأعود وأقول للأصدقاء إنني أخطأت، وإنني لم أرَ هذا الرجل من قبل!

واستدار ليعود، فرأى الرجل يخرج من الفندق، ثم يتجه إلى المياه، ويُلقي نفسَه فيها ... عاود الفضول «تختخ» برغم القرار الذي اتَّخذه بالعودة، فاقترب من شاطئ الفندق، حيث تناثرت المظلات ... وبسرعة خلع قميصه الذي كان يرتديه فوق المايوه، ووضعه فوق كرسيٍّ قريب ... ثم ألقى بنفسه في الماء هو الآخر.

كان يعلم أن النزول ممنوع في هذه المنطقة لغير نزلاء الفندق ... ولكنه لم يهتم ... كان فضوله في التعرف على الرجل أقوى من أي شعور آخر ... وغطس «تختخ» طويلًا ثم ظهر وسط مجموعة من المستحمين ... ولاحظ على الفور أنهم من الأجانب ... وكانوا جميعًا يضحكون في مرح ... ولم يكن بينهم الوجه الأسمر الذي يبحث عنه.

أخذ «تختخ» يسبح هنا وهناك باحثًا عن الرجل، ثم نسي لِلَحظاتٍ المهمةَ التي أتى من أجلها، فقد كانت المياه زرقاء ممتعة ... وأخذ يعوم ويغطس في سعادة ونشوة ... وغطس مرة، وإذا به يصطدم بشخص تحت الماء! وأسرع كلٌّ منهما بالصعود ... وكم كانت دهشة «تختخ» عندما وجد الوجه الأسمر الذي حضر للبحث عنه أمامه! كان هو الشخص الذي اصطدم به ... وتذكَّره على الفور ... وكانت مفاجأة لـ «تختخ»، حتى إنه شرب كمية من ماء البحر، واتسعت عيناه عن آخرهما. وفي الوقت نفسه بدت في عيني الرجل نظرة تنمُّ عن التَّعارف، لقد عرف هو الآخر «تختخ» وتبادلا النظرات ... وأدار الرجل وجهه وقال: لا تنادِني باسمي ... تعالَ نسبح بعيدًا عن الناس!

وأخذا يسبحان و«تختخ» في حالة ذهول، وبعد فترة قال الرجل: لقد عرفتَني؟!

تختخ: طبعًا ... أنت «النقيب مجدي» من إدارة البحث الجنائي؟

قال «مجدي»: وأنت «توفيق» ... أحد المغامرين الخمسة ... لقد التقينا في مغامرة «الحقيبة الدبلوماسية».

تختخ: بالضبط ... وكان أول لقاء لنا في مكتب المفتش «سامي»، عندما كنت تحدِّثه عن «الدهل»!

مجدي: وماذا تفعل هنا؟

تختخ: مجرد إجازة مع بقية المغامرين.

ابتسم «مجدي» قائلًا: صدفة طيبة ... والآن اسمع ...

وبدت ملامح الجِدِّ والخطورة على وجه «مجدي»، وقال: إنني هنا في مهمة رسمية سرية، وأنزل في الفندق باسم «عادل مكرم» المحامي ... وأرجو أن تلاحظ ذلك باستمرار حتى لا تنكشف شخصيتي.

قال «تختخ»: طبعًا، وسوف أُبلغ بقية المغامرين ...

مجدي: لقد جئتُ للكشف عن عصابةٍ كبيرة لتهريبِ المُخدِّرات ... وقد تأكَّدنا بواسطةِ تَحرِّياتٍ واسعةِ النطاق أن هذه العصابة تتَّخِذ شاطئ «سيدي عبد الرحمن» مَقرًّا لتهريب هذه السموم ... ولكنها عصابةٌ في منتهى الحذر، وحتى الآن لم أصل إلى شيء.

تختخ: وكيف يتم التهريب؟!

مجدي: عن طريق البحر ... هناك قوارب بخارية تُحضر المخدِّرات من «بيروت»، ثم تلقيها في البحر قرب الشاطئ حيث تقوم قوارب صغيرة بنقلها إلى البر!

تختخ: ولماذا لا تقطعون الطريق على القوارب القادمة من «بيروت»؟

مجدي: لقد فعلنا ذلك مرارًا ... ومع ذلك استمر تدفُّق المخدِّرات على مصر. فقررنا وقف حملات التفتيش في عُرْض البحر ... والكشف عن العصابة نفسها!

تختخ: وهل أنت وحدك؟!

مجدي: معي الرائد «خيري» من قوة مكافحة المخدرات، ونحن نعمل بالتعاون مع حرس الحدود ... وأنا و«خيري» نتظاهر بأن كلًّا منَّا لا يعرف الآخر؛ زيادةً في الحيطة والحذر، وهناك مُخبِر من رجالنا في مكان قريب!

وعرف «تختخ» أن الرجل الثالث هو الشحاذ.

قال «مجدي»: هل تنزلون في الفندق؟

تختخ: لا … إننا ننزل في خيمة أحضرناها معنا.

(وأشار إلى حيث كانت الخيمة تبدو كنقطة سوداء على الشاطئ.)

مجدي: إلى اللقاء إذن.

تختخ: هل نستطيع أن نساعد بشيء؟

مجدي: حتى الآن لا … ولكن إذا احتجنا لشيء فسوف نتصل بكم.

تختخ: إلى اللقاء، فسوف أذهب لصيد السمك.

وغطس «تختخ» وابتعد … ثم عامَ حتى الشاطئ، وأخذ قميصه وأسرع يلحق بـ «عاطف» و«نوسة» و«لوزة» و«زنجر»، حيث كانوا يقفون عند إحدى الصخور، وقد بدءوا محاولة الصيد.

كانت «لوزة» كالمعتاد مهتمةً بمعرفة نتائج تحريات «تختخ»، فلم تكد تراه حتى صاحت: ماذا وراءك؟

وكالمعتاد أيضًا تدخَّل «عاطف» قائلًا: ليس وراءه سوى البحر.

وقالت «نوسة» — وهي أكثر المغامرين الخمسة قراءة: إن هذه الجملة تُذكِّرني بخطبة «طارق بن زياد» عندما عبر مضيق جبل طارق الذي سُمي باسمه … لقد أحرق القائد العربي العظيم سُفُنَه حتى لا يفكر رجالُه في التقهْقُر، ثم قال في خطبته المشهورة: «العدو أمامكم والبحر من ورائكم» … وهكذا حارب الجيش حتى انتصر.

قال «تختخ»: إن ما ورائي أغرب مما كان وراء «طارق بن زياد»!

نوسة: لا أفهم!

تختخ: إنه رجل تعرفونه جميعًا؟

نوسة: نحن؟!

تختخ: نعم … أنتم!

لوزة: أحد رجال العصابات التي اصطدمنا بها؟

تختخ: لن أقول لكم شيئًا، حاولوا أن تعرفوا!

عاطف: دعك من اللفِّ والدوران … ولنقل إننا «غُلب حمارنا» كما يقول المثل البلدي … من هو؟!

تختخ: إنه النقيب «مجدي» من إدارة البحث الجنائي! وضحك «عاطف» بصوت مرتفع، ثم قال: هذا الرجل الذي أضعت وقتك تتبعه وتستريب فيه، وتعتقد أنه من رجال العصابات!

تختخ: على كل حال لقد كشفت حقيقته.

نوسة: وهل قلت له إنك كنت تتبعه؟

تختخ: لا ... لم يكن هناك داع.

لوزة: وماذا يفعل هنا؟

تختخ: إنه مكلَّف بمهمة هو وزميلان آخران في «سيدي عبد الرحمن» ... إن كميات كبيرة من المخدرات تتدفق على مصر من هذا المكان ... وحتى الآن لم يضعوا أيديَهم على المهربين؛ لهذا فهو ينزل في الفندق هو وزميله الرائد «خيري»، تحت اسمين مستعارين، فالتحريات تؤكد أن بعض المهربين ينزلون فيه.

لوزة: وهل لنا دور؟

تختخ: حتى الآن لا ... ولكن النقيب «مجدي» وعد بالاتصال بنا إذا احتاج إلينا.

وكفُّوا عن الحديث وانهمكوا في الصيد.

شيء في السنارة

أحسَّ «تختخ» فجأة أن سنارته ثقيلة ... حاول جذبها إلى أعلى ولكنه لم يستطع ... ولاحظ «عاطف» المجهود الذي يبذله «تختخ»، فقال له: ما هذا؟

تختخ: لا أدري ... إن السنارة ثقيلة جدًّا ...

عاطف: لعلها اشتبكت بالصخور!

تختخ: لو اشتبكت بالصخور لما تحركت. ولكن ثمةَ شيئًا ثقيلًا معلقًا بها!

لوزة: لا بُدَّ أنها سمكة ضخمة.

تختخ: ربما ... ولكنها بطيئة إلى حد ما ... إن السمك الكبير يجذب السنارة ويُسرع بالهرب.

وأخذ «تختخ» يحاول إخراج السنارة عبثًا ... كانت أثقل من أن تصعد فقال: سأنزل لأرى!

ثم خلع قميصه وقفز إلى الماء ... كان «تختخ» سبَّاحًا ماهرًا ... وسرعان ما وصل إلى حيث كانت السنارة، ثم غطس ... وظلَّ غاطسًا نحو نصف دقيقة ثم صعد ... وعاد مرة أخرى للغطس ... وغاب الفترة نفسها ثم عاود الصعود، واتَّجه سابحًا بسرعة نحو الأصدقاء، ثم قفز إلى الشاطئ ... واقترب من الأصدقاء ... كان واضحًا أنَّ ما عثر عليه شيء غير عادي؛ فقد كان يبدو عليه الاهتمام الشديد.

قال «تختخ»: سأذهب لاستدعاء الضابط «مجدي». ودون أن ينتظر إجابة، أسرع يجرى وهو يقول: لا تَدَعُوا أحدًا يقترب من السنارة!

ظلَّ «تختخ» يجري حتى وصل إلى شاطئ الفندق، وأخذ ينظر في المياه، ولكن الضابط «مجدي» لم يكن موجودًا ... وتلفَّت حوله ... ولكن «مجدي» كان قد اختفى.

أسرع «تختخ» يقطع الشاطئ جريًا … ناظرًا إلى كل مظلة وفجأة وجد الرجل الذي تحدث معه النقيب «مجدي» … إنه الرائد «خيري»! ولم يكن «تختخ» يعرف اسمه المستعار … ولم يتردد «تختخ» … أسرع إليه، ودون استئذان جلس بجانبه … كان متعبًا من الغطس والجري … وأنفاسه تتلاحق، ونظر إليه «خيري» مندهشًا، فأشار له «تختخ» بأصبعه يطلب منه الانتظار حتى يستردَّ أنفاسه، ثم قال له: إنني أعرف أنك الرائد «خيري»!

وبدا الذهول على وجه الرجل وقال: من أنت؟

رد «تختخ»: إنني «توفيق» … ألم يحدثك النقيب «مجدي» عني؟

خيري: لا …

تختخ: إنه صديقي، وأعرف أنه ينزل في الفندق باسم «عادل مكرم» المحامي … وأنكما تطاردان عصابة لتهريب المخدِّرات!

بدا الاطمئنان على وجه «خيري»، وقال: هل تبحث عنه؟

تختخ: نعم … لقد عثرت على شيء ربما يهمه … أقصد يهمكما!

خيري: ما هو؟

تختخ: تعالَ معي … هل تلبس «المايوه»؟

خيري: نعم … تحت ثيابي.

تختخ: إذن تعال معي فورًا!

وأسرعا معًا … ووصلا إلى حيث كان «عاطف» و«نوسة» و«لوزة» و«زنجر» يقفون عند الصخور … وخلع الرائد «خيري» ثيابه … وقفز هو و«تختخ» إلى المياه، وسبحا حتى مكان السنارة ثم غطسا … وظهرا … ثم غطسا مرة ثانية … وثالثة … ثم صعد «تختخ» إلى الشاطئ، وقطع خيط السنارة، وعاد إلى الماء، وغطس هو والرائد «خيري» …

كان الأصدقاء الثلاثة «عاطف» و«نوسة» و«لوزة» يرقبون ما يحدث وهم في غاية الدهشة … وقالت «لوزة»: ما هي الحكاية بالضبط؟!

ردت «نوسة»: أعتقد أنها خاصة بحكاية المهربين … لعل «تختخ» قد عثر على شيء هام خاص بهذا الموضوع.

عاطف: هذا هو التفسير الوحيد المعقول.

وصعد «خيري» و«تختخ» إلى الشاطئ وتحدثا قليلًا، ثم تقدَّم «خيري» من الأصدقاء الثلاثة، حيث صافحهم بعد أن قدَّمهم إليه «تختخ»، وقال وهو يودِّعهم: سيشرح لكم «توفيق» ما حدث … وأرجو أن يظل سرًّا بيننا.

غادرهم الرائد «خيري» مُسرعًا وهو يتلفَّت حوله ... وجلس «تختخ» لحظات صامتًا، ثم قال: هيَّا بنا الآن ... إن «محب» وحده، وسوف أروي لكم كل ما حدث أمامه بدلًا من أن أرويَه مرتين.

وعادوا إلى الخيمة ... ووجدوا «محب» مستلقيًا يقرأ كتابًا ... ولم يكد يراهم حتى قال: ماذا حدث؟! لقد عدتم مبكرين، وأيديكم فارغة.

ردت «نوسة»: إن أيديَنا ليست فارغة ... لقد عدنا بقصة يبدو أنها مُشوِّقة!

ابتسم «عاطف»، وقال: يبدو أننا سنتغدى اليوم بقصة دسمة بدلًا من السمك.

بدا الاهتمام على «محب» وقال: إننا نستطيع أن نجد السمك كل يوم، ولكن القصص الدسمة ليست بهذه البساطة!

تختخ: سأروي لك كلَّ ما حدث ... المهم، كيف حالك الآن؟

محب: مثل الحديد ... لقد تلاشت آثار البرد بعد الراحة الإجبارية.

تختخ: إليك الحكاية ... إنك تذكر الرجل الغريب ذا النظارة السوداء الذي كنت أطارده!

محب: الذي ذهبت خلفه إلى سوق «سيدي عبد الرحمن»؟

تختخ: بالضبط ... لقد عرفت الرجل!

بدا الاهتمام على وجه «محب»، وقال: من هو؟!

تختخ: إنه النقيب «مجدي» الذي اشتركنا معه في لغز «الحقيبة الدبلوماسية»!

ابتسم «محب» قائلًا: إذن ليس عضوًا في عصابة كما كنت تتصور ...

تختخ: لا ... إنه ضابط شرطة ... وقد جاء هو وزميل له يُدعى الرائد «خيري» لمطاردة عصابة من مُهرِّبي المخدرات ... وحتى لا تأخذ العصابة حذرها، فقد نزلا تحت اسمين مستعارين في فندق «سيدي عبد الرحمن» ... ومعهما رجل ثالث يقوم بدور الشحاذ بجوار ضريح «سيدي عبد الرحمن» ...

محب: مدهش!

تختخ: وقد تعارفنا بعد أن اصطدمتُ به تحت الماء ... وعرفتُ مهمته ثم افترقنا ... وذهبت لاستئناف صيد السمك ... ووجدتُ سنارتي قد علِقت بشيء ثقيل ...

وسكت «تختخ» لحظات وأحاطت به وجوه المغامرين الأربعة تستمع بانتباه ... ولاحظ «زنجر» ما يحدث، فانضم إلى حلقة المستمعين وأخذ يهز ذيله.

عاد «تختخ» يقول: وتصورت في البداية أنه سمكة كبيرة ... ولكنه لم يكن يتحرك ... والسمكة عندما تتعلق بالسنارة قد تتوقف فترة ... ولكن ليس طويلًا ... ولم تكن صخرة عالقة بالأرض لأنَّها كانت تتحرك قليلًا ... وهكذا نزلت لأرى ...

وتوقف «تختخ» وزاد اهتمام الأصدقاء، وعاد يقول: وتحت الماء فوجئت بما وجدت، إنه كيس من النايلون السميك، مصنوع على شكل ماسورة مدببة الطرف كالصاروخ. كيس ضخم يزيد وزنه على عشرين كيلوجرامًا ... ظننته في المياه المعتمة قنبلة ولكنها مُغلَّفة بالبلاستيك ... وتحسسته وتأكدت أنه ليس قنبلة؛ فهو طري ومُغطًّى بطبقة من الشحم.

وأسرعت «لوزة» تسأل: وماذا استنتجت؟

رد «تختخ»: في البداية لم أستنتج شيئًا على الإطلاق ... ولكن فجأة تذكرت عصابة المهربين التي يطاردها الضابطان، وتصورت أنَّ من الممكن أن يكون كيس مخدِّرات!

محب: معقول جدًّا ...

تختخ: وأسرعتُ أبحث عن النقيب «مجدي» ... ولكنني لم أجده ووجدت الرائد «خيري» ولم أتردد ... قدمتُ له نفسي، وأوضحت له أنني أعرفه ... ثم رويتُ له ما حدث ... فجاء معي مُسرعًا ... وغطسنا معًا ... وعندما شاهد الكيس تحت الماء برغم الظلام وتحسسه بيده وافقَ فورًا على تصوُّري ... إنه فعلًا كيس من المخدِّرات!

لوزة: ولماذا لم تخرجوه من الماء؟

تختخ: المسألة يا «لوزة» في غاية البساطة ... أولًا: أن الضابطين لا يريدان كشف شخصيتهما ... ثانيًا: أن عصابة المهربين إذا عرفت أن أحد أكياس المخدِّرات قد ضُبط فسوف تأخذ حذرها ... ولهذا تركناه حيث هو بعد أن ربطناه بخيط السنارة إلى إحدى الصخور حتى لا يتحرك من مكانه.

عاطف: هذا يوضِّح لماذا قطعت خيط السنارة!

نوسة: ولكن هناك احتمال أن يذهب أحد رجال العصابة ويأخذ الكيس!

تختخ: هذا ما نتمنى حدوثه.

محب: كيف؟!

تختخ: إن الضابط «مجدي» يجلس في غرفته في الفندق، وعلى عينيه نظارة مكبرة يراقب بها الشاطئ كله ... ومن المؤكد أنه شاهد ما حدث، وإذا لم يكن قد شاهده فإن الرائد «خيري» سيُخبره ... وسوف يراقب مكان الكيس جيدًا ... فإذا نزل شخص هناك وصعد به دون أن يبلغ الشرطة عنه فهو بالتأكيد من رجال العصابة!

نوسة: ولكن قد ينزلون لإحضاره ليلًا بعد أن يهبط الظلام!

تختخ: أنتِ مغامِرة ممتازة، فهذا ما توقَّعه الرائد «خيري» بالضبط، وقد قال لي إنه والنقيب «مجدي» سوف يقومان بالرقابة ليلًا قريبًا من المكان، وعنده أمل كبير أن يقبضا على المُهرِّب الليلة ... وعن طريقه يمكن الوصول إلى باقي العصابة ...

عاطف: إنها صدفة مدهشة أن يعلق هذا الكيس بسنارتك يا «تختخ» ...

تختخ: لو لم أكن قد عرفت شخصية الضابط «مجدي» لأخرجت الكيس إلى الشاطئ ولعرفتْ عصابة التهريب كل شيء ... ولضاعت إلى الأبد فرصة مراقبة العصابة سرًّا!

لوزة: للأسف، إن المغامرة انتهت بأسرع مما كنا نتوقع.

تختخ: إنها لم تنتهِ بعد ... بل يمكن أن يُقال إنها بدأت فقط ... فقد لا تحاول العصابة إخراج الكيس ... ثم هناك شيء آخر ...

وانتبه الأصدقاء، وقالت «نوسة»: ما هو؟

تختخ: شكل الكيس ... إن الرائد «خيري» الذي اشترك في القبض على عصابات كثيرة للتهريب يقول إنه لم يرَ مثل هذا الكيس من قبل مطلقًا ... إنه كما قلت لكم يشبه الصاروخ!

لوزة: وماذا يعني هذا الشكل؟

تختخ: هذا ما يُحيِّر الرائد «خيري»، وما ستكشف عنه الأيام المقبلة إذا وقعت عصابة المهربين.

«تختخ» يغرق

عندما هبط الظلام على منطقة «سيدي عبد الرحمن» جلس المغامرون الخمسة أمام الخيمة يتبادلون الحديث حول إجازتهم التي كادت تتحول إلى مغامرة ... وقال «محب»: على كل حال فإن ما يحدث الليلة سيكون فاصلًا بين الإجازة والمغامرة ... فإذا حضر أفراد عصابة التهريب فسوف تنتهي المغامرة ... ونتمتع بالإجازة ...

قال «عاطف» ساخرًا: لا أدري لماذا تتحدثون عن مغامرة لم نشترك فيها حتى الآن إلا بالكلام.

قالت «لوزة» معترضة: ولكن «تختخ» عثر على الصاروخ ... أقصد على ذلك الكيس الذي يشبه الصاروخ!

ضحك «عاطف» وقال: لعلكِ تتصورين أنه صاروخ للذهاب إلى القمر ... على كل حال هذا حدث بالصدفة.

كان «تختخ» يجلس وهو يستمع إلى النقاش في وجوم ... وقد ولَّى وجهه ناحية البحر يفكر، ثم قال فجأة: إنني أتوقع أن تحدُث الليلةَ أحداث هامة.

نوسة: إن الحدث الوحيد الهام أن يقبض الضابطان على المهربين!

تختخ: لو كنت مكان الضابطين لما قبضت على المهربين!

التفت إليه الأصدقاء في دهشة، فقال: إن كثيرًا من قضايا التهريب تنتهي بالقبض على صغار المهربين فقط ... وتبقى العصابة — أو كبار المهربين فيها — بعيدةً عن يد القانون ... وتعاود نشاطها بعد فترة.

لوزة: لا أفهم ... ماذا تقصد بالضبط؟

تختخ: لو كنت تقرئين قضايا التهريب بدقة لَعرَفتِ أنَّ الممول — وهو أهم شخص في عصابات التهريب — يكون عادة بعيدًا عن الشبهات، فهو لا يشترك في التهريب بنفسه،

ولكن بأمواله فقط … ولا يعرفه إلا شخص واحد في العصابة، هو الوسيط بينه وبين أفراد العصابة، أعني المهربين الصغار الذين يحملون المخدِّرات … وكثيرًا ما يقع المهربون الصغار، وهؤلاء لا يعرفون الزعيم الحقيقي للعصابة … فيبقى بعيدًا عن الشبهات!

نوسة: والوسيط؟

تختخ: إنه لا يشترك في التهريب أيضًا … ولا يوجد في المكان الذي توجد به المخدِّرات، ومن الصعب حتى في حالة معرفة اسمه إثبات التهمة عليه.

عاطف: وما هي فكرتك إذن؟

تختخ: أريد أن أقول للنقيب «مجدي»، يحسُن أن يكتفيَ بمراقبة المهربين الذين قد يحضرون الليلة … وتتبُّعهم حتى الوصول إلى مقر العصابة ومراقبة المقر حتى الإيقاع بالوسيط ثم الممول.

محب: ولكن قلت إن المموِّل من الصعب إثبات التهمة عليه.

تختخ: قلت إنه صعب، ولكن ليس مستحيلًا بواسطة الاعترافات والتسجيلات عن طريق التليفون.

لوزة: ولماذا لا تذهب الآن وتتفاهم مع الضابطين، وتنقُل إليهما فكرتك؟

تختخ: هذا ما أفكر فيه!

وصمت الجميع … وتكاثف الظلام، ولمعت النجوم في السماء البعيدة، ثم وقف «تختخ»، وقال: سأذهب الآن إلى الفندق للتحدث إليهما.

لوزة: لعلهما غادرا الفندق!

تختخ: لا أظن … فلن يقوم المهربون بمحاولة إخراج الكيس من الماء قبل منتصف الليل، عندما ينام المصطافون، ولا يوجد أحد على الشاطئ، ولن يخرج الضابطان قبل ساعتين أو أكثر …

وسار «تختخ» وحده مسرعًا … كان عدد كبير من المصطافين يجلس خارج الفندق، وموسيقى خفيفة تأتي من داخله، وأضواؤه القوية تلمع في المياه … واتجه «تختخ» إلى مبنى الفندق الضخم … ودخل متجهًا إلى موظف الاستقبال، وسأله عن الأستاذ «عادل مكرم» المحامي، فقال له موظف الاستقبال بعد أن نظر إلى لوحة المفاتيح: الأستاذ «عادل» خرج!

ولم يكن «تختخ» يعرف الاسم المستعار الذي ينزل به الرائد «خيري»، فوقف لحظات يفكر … ثم مشى ببطء يبحث بين الجالسين في صالة الفندق عن الضابطين أو أحدهما، ولكنه لم يعثر عليهما.

خرج «تختخ» من الفندق وهو يفكر فيما ينبغي عمله ... هل يذهب إلى سوق «سيدي عبد الرحمن» للبحث عن الضابطين ... أو المخبر المتخفي في زي الشحاذين؟ ... ولكن المسافة بعيدة نسبيًّا وبخاصة في هذا الظلام ... هل يذهب إلى مكان الصيد حيث أخفيت المخدرات؟

ولكن قد يكون المكان مراقبًا بواسطة المهربين ... أو قد يُفسد على الضابطين خطتهما، وهما بالتأكيد قد وضعا خطة ما.

وبعد تفكير طويل، قرَّر «تختخ» أن يتجوَّل قرب المنطقة التي كان يصطاد فيها صباحًا ... لعله يجد الضابطين هناك يراقبان المكان ... سار على الشاطئ كأنه يتنزه ... والتقى ببعض المصطافين يسيرون هنا وهناك يتمتعون بنسيم الليل المنعش ... وبعد عشر دقائق وصل إلى منطقة الصيد ... كانت الصخور تُغطِّي المكان ... ومن الصعب المراقبة من بعيد ... فاقترب، وأخذ ينظر حوله ... ولكن لم يكن هناك أثر للضابطين مطلقًا ... ونظر إلى المياه ... كانت شديدة السواد وبخاصة في ظل الصخور التي كانت تُخفي أضواء النجوم البعيدة.

أدرك «تختخ» أن الضابطين إما أنهما لم يصلا بعد ... أو أنهما اختارا مكانًا خفيًّا للمراقبة بحيث لا يراهما المهربون عندما يأتون لأخذ الكيس ... وقرر أن ينصرف على الفور حتى لا يعطل خطتهما ... فلو أن المهربين شاهدوه في هذا المكان لترددوا في سحب الكيس!

اختار «تختخ» مكانًا يشبه الكهف بين الصخور، ثم قبع فيه وجلس ينظر إلى السماء البعيدة تارة وإلى البحر تارة أخرى ... وشيئًا فشيئًا بدأت الريح تهب ... وأخذ وجه البحر الساكن يثور، ثم ارتفعت الأمواج، وأخذت تقذف برذاذها إلى مكان «تختخ» ... وأحس بالبرد يتسلل إلى جسده، وفكَّر أن يخرج، ولكن الوقت كان قد مضى ... ولو خرج الآن ربما وجد المهربين أمامه وجهًا لوجه، ولأفسد خطة الضابطين ... وأخذ يفكر فيما يفعل وهو جالس في مكمنه كأنه في سجن، واستقر رأيه على أن يبقى ... ويشهد ماذا يحدث.

ومضت الساعات بطيئة ... وأحسَّ «تختخ» بالجوع، وتمنَّى في هذه اللحظة لو كان في الخيمة مع الأصدقاء، يتناول عشاءه وكوبًا من الشاي، ولكن كانت الأمنية في هذه اللحظة بعيدة المنال.

نظر «تختخ» إلى ساعته ... كانت قد تجاوزت منتصف الليل بساعة ... وأدرك أن المهربين لا بدَّ أن يظهروا خلال الساعات الثلاثة القادمة قبل الفجر ... وأخذ يحملق في المياه ... ولكن أحدًا لم يظهر ... ومدَّ بصره خارج الكهف ناظرًا حوله، ولكن كل شيء

كان هادئًا … عدا صوت الريح وهي تزمجر بين الصخور وفوق الأمواج، ولا أثرَ لمخلوق في المنطقة.

عاود «تختخ» النظر إلى المياه، وفجأة خُيِّل إليه أنه يرى شيئًا أسود يظهر في الماء ثم يختفي … وظنَّ للوهلة الأولى أن عينيه تخدعانه … فأغمض عينيه وعاود النظر، ولكن الشيء الأسود كان قد اختفى … واقترب «تختخ» من الماء أكثر … ولم يعد بينه وبين المكان الذي ربطوا فيه الكيس أكثر من أمتار قليلة، وأخذ يُحدِّق في الماء … ومرة أخرى رأى الشيء الأسود … كان في هذه المرة أكثر وضوحًا، كان أشبه بذراع فوق الماء … وانحدر «تختخ» من مكانه وأصبح قريبًا من المكان بحوالي متر واحد … ووجد الذراع تظهر أمامه … وتأكد في هذه اللحظة أن شخصًا أو أشخاصًا تحت الماء يسحبون الكيس … وبدون أدنى تفكير، ألقى بنفسه في الماء!

هبط تحت الماء بسرعة … ولم يكن هناك أي شيء واضح في الظلام … ولكنه كان يعرف مكان الكيس جيدًا فاتَّجه إليه … وفجأة أحسَّ بضربة قوية تُصيب بطنه، فدار حول نفسه وواجه العدو المجهول مادًّا ذراعيه إلى الأمام … ومرة أخرى أحسَّ بضربة قوية تُصيب رقبته، ولكنه كان مستعدًّا هذه المرة فأمسك بالذراع ولواها بشدة، ثم وجَّه لكمةً قوية إلى الجسم الذي اشتبك معه في صراع مميت!

مرَّت هذه الأحداث في أقل من دقيقة، ثم شعر «تختخ» أن نفسه يضيق، وأنه يجب أن يصعد إلى سطح الماء ليتنفس … فترك العدو المجهول وصعد إلى فوق … وعندما طفا رأسه على سطح الماء أخذ نفسًا عميقًا، ولكنه في الوقت نفسه أحسَّ بيدين قويتين تجذبان ساقيه إلى أسفل، وسرعان ما وجد نفسه مغمورًا تحت الماء مرة أخرى … وشخصًا يحاول إغراقه، فاشتبك معه في صراع مرير …

كان العدو المجهول قويًّا كالثَّوْر … وعرف «تختخ» بطريقة اللمس أنه يلبس خوذة فولاذية للتنفس تحت الماء … وأدرك أنه لا يستطيع الاستمرار طويلًا في صراعه؛ لأن أنفاسه تضيق سريعًا، وأنه يجب أن يتخلص من العدو المجهول ويصعد مُسرِعًا إلى سطح الماء، وينادي طالبًا النجدة، فلا بُدَّ أن الضابطين قريبان منه.

ولكن في محاولته المستميتة للتخلص من العدو … أحسَّ بضربة قوية تُصيب رأسه، وتراخت يداه … وأخذ جسمه يغوص في الأعماق! وحاول «تختخ» الصعود إلى سطح الماء مقاومًا الإغماء الذي زحف إلى رأسه … واختلط كل شيء في ذهنه، وشعر بالماء يتدفَّق إلى فمه، وبرئتيه تتقلصان، وقلبه يكاد يكفُّ عن الحركة …

كانت اللحظات الفاصلة بين الحياة والموت تتوقف على إرادته التي أخذت تتلاشى بعد أن فقد القدرة على الحركة ... وأحسَّ بجسده يهبط إلى القاع الرملي ... واستجمع كل ما تبقَّى من عزيمته وقواه، وضرب الأرض بقدمه ضربة قوية، وطفا جسمه إلى أعلى، ومدَّ ذراعه إلى أعلى ... وأمسكت أصابعه بصخرة مُدببة، فقبض عليها بكل ما يملك من قوة، ثم مدَّ يده الأخرى وتشبَّث بالصخرة، وأخذ يرفع جسده عن سطح الماء شيئًا فشيئًا ... كان كل ما في جسده يضجُّ بالتعب ... ورأسه يدور كأن به ألف طاحونة ... وفي النهاية خرج رأسه من الماء، وأخذ نفسًا عميقًا ... واتَّجه برأسه إلى السماء فلم يرها ولم يشاهد النجوم، وأدرك أنه في فجوة بين الصخور ... فطوَّح بساقه وصعد إلى الصخرة التي أمسك بها ... ثم تمدَّد عليها ... وفي هذه اللحظة تلاشى كل ما بقي في جسده من قوة واستسلم للإغماء ...

«زنجر» يجد شيئًا

عندما تجاوزت الساعة الثالثة صباحًا ولم يعد «تختخ» إلى الخيمة، أحسَّ «محب» بقلق عظيم ... فقد كان هو الحارس في تلك الساعة، وكان يجلس أمام الخيمة وحيدًا وبجواره «زنجر» ينبح بين الحين والحين ... وكأنه يتساءل عن غياب صاحبه.

فكر «محب» فيما يجب أن يفعله، ثم دخل الخيمة التي كانت مقسمة إلى قسمين؛ أحدهما لـ «نوسة» و«لوزة»، والآخر لـ «عاطف» و«محب» و«تختخ». وجد «عاطف» نائمًا تمامًا، فأخذ ينظر إليه ويفكر ... هل يوقظه ... أو يذهب وحده للبحث عن «تختخ»!

كانت المشكلة أنه لا يعرف مكان الصيد بالتحديد، ولا يمكن أن يصل إليه في الظلام وحده ... ولا بد من «عاطف» أو «لوزة» أو «نوسة» معه ليصل إلى هناك، وهكذا انحنى على «عاطف» وأخذ يهزُّه برفق قائلًا: «عاطف» ... «عاطف»!

وانتبه «عاطف» ونظر إلى «محب» منزعجًا، فقال «محب»: لا تخَفْ فلم يحدث شيء ... ولكن «تختخ» لم يعُدْ حتى الآن ... وأعتقد أننا يجب أن نخرج للبحث عنه.

أفاق «عاطف» تمامًا، وجلس ثم وقف قائلًا: كم الساعة الآن؟

محب: قريبة من الثالثة بعد منتصف الليل؟

عاطف: لقد تأخَّر جدًّا ... سألبس ثيابي وننطلق فورًا!

بعد دقائق أغلق الصديقان باب الخيمة، وأخذا «زنجر» ثم انطلقا في اتِّجاه الصخور البعيدة حيث مكان الصيد.

كان الظلام شديد الكثافة حتى إنهم كانوا يسيرون بحذر شديد، وشقُّوا طريقَهم ببطء على الرمال حتى تجاوزوا الفندق، ووصلوا إلى الصخور ... وفجأة، على ضوء شديد من كشافين قويين، سمِعا صوتًا يقول في الظلام: قفْ عندك. لا تتحرك! وذهل الصديقان، على حين هَمْهَم «زنجر» بقوة، ثم قفز إلى الأمام ... ولكن في هذه اللحظة سمع الصديقان صوتًا

يقول: إنهما ليسا من المهربين ... إنهما من زملاء «توفيق» ... وأدرك «محب» الحقيقة بسرعة فصاح بـ «زنجر» قبل أن يشتبك مع حاملي البطاريتين: «زنجر» ... قف!

وتوقَّف «زنجر» وقال «محب»: النقيب «مجدي»؟!

ردَّ الضابط: نعم ... لقد ظنناكُما من المهربين ... لماذا جئتما إلى هنا؟!

محب: إننا نبحث عن «تختخ» ... أقصد «توفيق».

مجدي: وما الذي أتى به إلى هنا؟!

محب: لقد طافت بذهنه فكرة، وتركَنَا وحضر إلى هنا لمقابلتكما ... ولم يعد بعد ذلك.

مجدي: متى حدث هذا؟

محب: ساعة الغروب ... أو بعدها بقليل.

مجدي: شيء مدهش ... لقد حضرنا هنا في العاشرة تقريبًا ... ولم نرَ أحدًا على الإطلاق!

صمت «محب» ... وأخذ ينظر حوله في الظلام مفكرًا لا يدري ماذا يفعل أو يقول، وفي هذه اللحظة سمع «زنجر» يزوم في ضيق ... ثم أحسَّ به يتحرك في الظلام فقال: «زنجر»!

والتفت الجميع إلى الكلب الذي لم يكن يبدو منه في الظلام سوى عينيه اللامعتين، وقال «محب»: أعتقد أن «زنجر» ... عنده ما يفعله!

وأخرج «محب» بطاريته وأضاءها، ولم يكد يفعل ذلك حتى اندفع «زنجر» جاريًا نحو الصخور، وتبعه الجميع على ضوء الكشافات ... أخذ «زنجر» يقفز برشاقة فوق الصخور الضخمة ... وخلفه الضابطان و«محب» و«عاطف» يحاولون اللحاق به، وبعد لحظات اختفى «زنجر» بين الصخور ... وأخذت أضواء الكشافات تبحث عنه، ثم سمعوا صوت نباحه القصير المتقطع ... واتَّجهوا جميعًا إلى مصدر الصوت ... وعلى ضوء الكشافات شاهدوا «تختخ» مستلقيًا بين الصخور مبتلَّ الملابس. وقد بدا عليه الإعياء الشديد.

أسرع «محب» بالقفز داخل الصخرة المجوفة التي اختفى فيها «تختخ»، وخلفه قفز «عاطف»، ثم النقيب «مجدي» والرائد «خيري»، وأخذوا يعملون على إفاقة «تختخ» بالتنفُّس الصناعي. ومضت لحظات متوترة، ثم أخذ «تختخ» يفتح عينيه وينظر حوله.

تم نقل «تختخ» سريعًا إلى الخيمة، وقام الضابطان بلفِّه بالبطاطين الثقيلة، وسقَوْه الشاي الساخن حتى استعاد قوته، وأخذ يروي لهم ما حدث ... وكانت «نوسة» و«لوزة» قد استيقظتا، وجلس الجميع حول «تختخ» يستمعون إليه في انتباه، وبعد أن انتهى من روايته، قال النقيب «مجدي»: شيء مدهش ... إننا كنا قريبين من المكان جدًّا ولم نرَ أحدًا!

تختخ: لأنكما تصورتما أن المهربين سيأتون من ناحية البر، ولكنهم جاءوا من ناحية البحر!

قال الرائد «خيري»: لقد ناقشنا هذه النقطة … وتصوَّرنا أنهم حتى لو حضروا من البحر فسوف يحاولون سحب المخدِّرات إلى البر!

تختخ: لقد حضروا من البحر … وعادوا إليه، وهذا شيء مدهش حقًّا.

قال النقيب «مجدي»: للأسف، إنهم الآن عرفوا أنهم مراقبون، وسوف يكونون أكثر حذرًا!

أحسَّ «تختخ» بالضيق من هذا التعليق؛ فهذا يعني أنه كان السبب في تحذير المهربين، واحمرَّ وجهه وهو يقول: آسف جدًّا إذا كنت قد أفسدت خططكما في مراقبة المهربين.

ردَّ «مجدي» وقد أحسَّ أنه ضايق «تختخ»: لا أقصد أن أُحمِّلك أي مسئولية، لقد حاولت أن تؤديَ خدمة لنا … ونحن على كل حال سوف نستمر في المراقبة، وسنضع في اعتبارنا أنهم مهرِّبون على درجة كبيرة من الخطورة؛ لأنهم يستخدمون أجهزة الغوص … وليس من الصعب تتبع هذه الأجهزة، وسوف نرسل إلى زملائنا في البحث الجنائي لمعرفة المحلات التي باعت هذه الأجهزة؛ فقد نعرف من اشتراها. ونضع يدنا على أول الخيط في عملية التهريب الغامضة … وعلى كل حال ربما اعتبروا وجودك مجرد صدفة!

لم يقتنع «تختخ» كثيرًا بهذا التبرير الذي قدَّمه «مجدي»، فقد أحسَّ بينه وبين نفسه بأنه ارتكب خطأً كبيرًا بتدخُّله في عمل الضابطين.

وغادر الضابطان الخيمة … والفجر يتسلل إلى شاطئ «سيدي عبد الرحمن»، واستغرق «تختخ» و«محب» في نوم عميق، على حين خرج بقية الأصدقاء يتمشَّوْن على الشاطئ الذي لم يستيقظ بعد.

قالت «لوزة»: أليس من الممكن ألا يكون المهربون قد أخذوا الكيس من الماء لأي سبب؟!

رد «عاطف»: هل تظنين أنهم كانوا يتنزهون تحت الماء؟! … من المؤكد أنهم أخذوا الكيس.

قالت «نوسة»: ما المانع أن نذهب الآن إلى المكان للبحث؟

لوزة: إن المياه عميقة في هذا المكان، ويلزم أن يكون معنا «مايوهات» للنزول إلى الماء.

قال «عاطف»: سأذهب جريًا لإحضار «المايوه» وأعود إليكما.

وسارت «نوسة» و«لوزة» … وخلفهما «زنجر» يتأملان البحر الذي ارتفعت أمواجه، والشمس التي بدأت أشعتها الحمراء تملأ الأفق قبل أن تظهر … وكان «زنجر» يجري على

الشاطئ يمارس هوايته في مطاردة الكابوريا الصغيرة الصفراء التي تعيش في جحورها الصغيرة في الرمال.

ولحق بهما «عاطف» بعد قليل، وأسرعوا تحت إلحاح «لوزة» التي كانت شديدة اللهفة ... فلو صحَّ أن الكيس ما زال في مكانه، فهذا يعني أن الذين اشتبكوا مع «تختخ» لم يكونوا من المهربين ... وقد تتكشف المسألة عن حقائق أخطر مما يتصورون ... فقد يكونون من الضفادع البشرية التابعين لدولة معادية.

وصلوا إلى الصخور ... وبرغم الريح، اختفى «عاطف» خلف صخرة، وخلع ثيابه وارتدى «المايوه»، ثم ظهر يقفز على الأرض وهو يقول: لا بُدَّ من عملية تسخين وإلا أصابتني الرعشة!

ونزلوا إلى الصخور حتى اقتربوا من البقعة التي كان بها الكيس، وأخذ «عاطف» نفَسًا عميقًا ثم قفز إلى الماء، ووقفت «نوسة» و«لوزة» وقد استبدَّت بهما اللهفة في انتظاره على حين كان «زنجر» يلعب على الشاطئ مع الكابوريا الصغيرة ...

مضت لحظات ثم ظهر «عاطفه» وأشار بيده؛ أنه لم يجد شيئًا، ولكنه سيحاول الغوص ... وعاد للغوص مرة أخرى ... وفي تلك اللحظة ظهر «زنجر» يحمل بين أسنانه قطعة كبيرة من المطاط الأسود ...

صاحت «لوزة» به: ألقِ هذا الشيء من فمك يا «زنجر»!

ووقف «زنجر» مترددًا لحظات، كأنه كان يفكر ... هل ينفذ الأمر ... أو يخالفه؟! وأخذ ينظر إلى «لوزة» كأنما يرجوها أن ترى ما أحضره ... وأمام تردد «زنجر» أدركت «لوزة» أنَّ ما يحمله «زنجر» له أهمية ... فهذا الكلب الذكي لا يمكن أن يتمسك بشيء لا أهمية له.

قالت «لوزة»: تعالَ يا «زنجر»!

وأقبل «زنجر» يقفز من الشاطئ إلى الصخور ... وكان «عاطف» قد خرج من الماء مرة ثانية دون أن يجد شيئًا، ثم استجمع أنفاسه وغاص للمرة الثالثة.

لم تكد «لوزة» ترى ما يحمله «زنجر» بين أسنانه حتى عرفت على الفور أنه زعنفة من المطاط مما يلبسه الغواصون في أقدامهم لتسهيل العوم ... وتذكَّرت على الفور أقوال «تختخ» عن الأعداء المجهولين تحت الماء ... لقد كانوا يرتدون ثياب الغوص، وليس من المستبعد أن تكون الزعنفة تخصُّ أحدهم ... ووقف «زنجر» أمامها، فمدَّت يدها وأمسكت بالزعنفة ... وقالت «نوسة»: إنها زعنفة غواص!

لوزة: وأظن أنها تخصُّ أحد الذين اشتبك معهم «تختخ» ليلًا!

نوسة: في هذه الحالة قد تصبح دليلًا له أهمية.

وخرج «عاطف» من الماء للمرة الثالثة دون أن يعثر على شيء ... فصعد الصخور وهو يلهث، وشاهد الزعنفة السوداء المطاطية أمام «زنجر» ... فابتسم قائلًا: لقد عثر «زنجر» على شيء هام دون أن يغطس أو يتعب نفسه!

قالت «نوسة»: هيَّا نعود ونعرضها على «تختخ».

وارتدي «عاطف» ثيابه وانطلقوا عائدين ... ومن خلف التلال الرملية ظهر رجلان كانا يراقبانهم طول الوقت ... وعندما غادروا مكانهم سارا يتبعانهم من بعيد ... ولم يحسَّ الأصدقاء بوجودهما مطلقًا.

قال أحد الرجلين: أعتقد أن الولد الذي اشتبكنا معه ليلًا ليس بينهم ... لقد كان أضخم حجمًا من هؤلاء.

قال الثاني: على كل حال، إن بحثهم في المكان الذي كان به الكيس واهتمامهم بأمر الزعنفة يؤكد أنهم على عَلاقة بالولد الذي اشتبكت معه وفقدت الزعنفة في أثناء الاشتباك!

ردَّ الأول: لا بُدَّ أن نعرف هل مات الولد السمين أو لا، ومدى ما يعرفه هؤلاء الأولاد عنَّا! ... إننا لم نخبر الزعيم بعد بما حدث، وإلَّا تعرضنا لغضبه.

وسارا يتبعان الأصدقاء على مَبْعدة.

٤ زجاجات باردة!

عندما وصل «عاطف» و«نوسة» و«لوزة» و«زنجر» إلى الخيمة ... كان «تختخ» و«محب» ما زالا نائمين ... وكانت الشمس قد تسلقت الأفق وأطلقت أشعتها الحامية تُنبئ بيوم حار ... وأعد الأصدقاء الثلاثة فطورًا لهم ولـ «زنجر»، ثم جلسوا يتحدثون، وهم يحاولون قراءة ما على الزعنفة من كلمات ... وقد عرفوا على الفور أنَّها صناعة إيطالية.

وعلى مَبْعدة من الخيمة، كان الرجلان يقفان، وقال أحدهما: لقد عرفنا أين ينزل هؤلاء الأولاد ... ولكن الولد السمين ليس موجودًا.

الثاني: إنه بالتأكيد لم يَمُتْ. فلو أنه مات لتصرفوا بطريقة أخرى ولظهر رجال الشرطة للتحقيق ... لقد ظننت أننا قضينا عليه ... ولكن عندما حضرنا لم نجده عند الصخور ... ومعنى ذلك أنهم أنقذوه، ومن حسن الحظ أننا انسحبنا من المكان قبل أن يرونا.

الأول: على كل حال أظن أنهم مجرد أطفال.

الثاني: إنهم أطفال حقًّا ... ولكن لماذا ربطوا الكيس عندما عثروا عليه كما وجدناه؟ ولماذا عاد الولد السمين للبحث عنه ليلًا؟ ... ولماذا حضروا صباحًا لإعادة البحث؟ ... إنهم أطفال كما تقول، ولكن ما يفعلونه يُثير الريبة!

الأول: في هذه الحالة لا بُدَّ من إخطار الزعيم فورًا ليتصرف، وإلا تعرضنا جميعًا للخطر. فلنراقب أطول مدة ممكنة.

وعند الظهر استيقظ «تختخ» وقد استردَّ قواه تمامًا ... واستيقظ «محب» وعقد المغامرون الخمسة اجتماعًا لمناقشة الموقف ... وأمسك «تختخ» بالزعنفة المطاطية بين يديه يقلبها، ثم قال: أرجِّح — كما قلتم — أنها كانت في قدم أحد الرجال الذين اشتبكتُ

معهم تحت الماء، وأنها انخلعت من قدمه في أثناء الصراع ثم حملَتْها الأمواج إلى الشاطئ حيث وجدها «زنجر».

لوزة: هل يعني شيئًا أنها صناعة إيطالية؟

تختخ: قد يعني أشياء كثيرة، وقد لا يعني شيئًا …

قد يعني أن أحد المهربين أو ربما زعيمهم إيطالي … وربما يعني فقط أنها مصنوعة في إيطاليا وبيعت في مصر … وفي هذه الحالة يكون من الصعب تتبُّع المحل الذي باعها، ومن اشتراها، ففي مصر عشرات المحلات التي تبيع هذا النوع من الزعانف … ومن الصعب أن يتذكَّر البائع لمن باعها.

محب: إذن نحن لم نعثر على أيِّ دليل حتى الآن.

تختخ: بل عثرنا على دليل هام … إن المهربين يعملون في البحر؛ لأن ارتداء ملابس الغوص يعني أنهم جاءوا من مكان بعيد عائمين … ولو كانوا يعملون في البر لما احتاجوا لملابس غوص في هذا المكان!

وقفت «نوسة» فجأة قائلة: إنني أجد أيام الإجازة تتسرب من بين أصابعنا دون أن نتمتع بها … دعونا من حكاية الألغاز والمغامرات والمهربين … وهيَّا إلى الشاطئ نلعب ونعوم.

وارتفعت الأصوات تؤيد «نوسة» … ولم تمضِ لحظات حتى كان الجميع يتسابقون إلى المياه الزرقاء التي اشتَهر بها شاطئ «سيدي عبد الرحمن» وقضَوْا فترة بعيدًا عن الخيمة يجرون ويقفزون ويلعبون، وقد نسوا كل ما يتعلَّق بالمهربين.

وقرب الساعة الخامسة عادوا إلى الخيمة … كان «محب» أسبقهم إلى دخولها، ولاحظ على الفور — بإحساس المغامِر — أنَّ الخيمة تعرَّضت لتفتيش دقيق. فخرج مسرعًا وأشار إلى الأصدقاء أن يتوقفوا خارج الخيمة، ثم قال: لقد تعرضتْ خيمتنا للتفتيش!

وتقدَّم «تختخ» من «محب»، وأخذا يفحصان الخيمة … وقال «محب»: لقد اختفت الزعنفة أيضًا!

قال «تختخ»: لقد كانوا يراقبوننا، ولعلنا مراقبون الآن. يجب الاتصال بالنقيب «مجدي» وإخطاره بما حدث.

وتناول الجميع غداءً خفيفًا، ثم خرج «تختخ» و«محب» مسرعين إلى الفندق للبحث عن «عادل مكرم» المحامي، وهو الاسم المستعار للنقيب «مجدي» … ولكنهما لم يجداه في الفندق … وقال «تختخ»: سنذهب لمقابلة الشحاذ في سوق «سيدي عبد الرحمن»، إنه أحد رجال المباحث، وسيدلُّنا على مكان النقيب «مجدي»!

وسارا مسرعَيْن في الطريق الطويل إلى السوق، وقطعا المسافة في نحو ساعة، ووصلا إلى السوق … واتَّجها فورًا إلى ضريح «سيدي عبد الرحمن»، حيث كان يقف الشحاذ … ولكنهما لم يعثرا عليه … وبدت الحيرة على وجه «تختخ» وهو ينظر حوله في ضيق، وقال «محب»: تعالَ نتناول زجاجتَيْ كوكاكولا؛ فإني أشعر بالعطش.

واتجها إلى أحد المحلات … كان كأغلب محلات السوق يبيع مختلف السلع، ومعها اللحم، فوقفا يتناولان المشروب البارد … ويتفرجان على البضائع المعروضة … وتوقفت أمام المحل سيارة صغيرة «جيب» ونزل منها شخصان دخلا المحل، ورحَّب بهما صاحبه في حرارة … وأخذ الرجلان يشتريان كميات كبيرة من الأرز واللحم والخضراوات … ولاحظ «تختخ» أن أحدهما يتحدث العربية، والآخر يبدو أجنبيًّا.

وفرغ الصديقان من الزجاجتين … ودهش «محب» لأن «تختخ» طلب زجاجتين أُخريين ناول إحداهما لـ «محب» وهو ينظر إليه نظرةً فهِم «محب» على الفور معناها، لقد كان «تختخ» يريد أن يتلكَّأ قليلًا في المحل … وهكذا أخذ «محب» يتناول المشروب ببطء، وابتسم له «تختخ»، فقد كانت النظرة كافية ليعرف المطلوب.

وانتهى الرجلان من شراء ما يلزمهما، ثم دفعا مبلغًا كبيرًا، وقفزا إلى السيارة وانطلقا مسرعَيْن، وناول «تختخ» الزجاجة الفارغة لصاحب المحل وهو يقول: إنها سيارة الفندق … أليس كذلك؟

قال الرجل: لا …

تختخ: ليس من المعقول أن يشتريَ هذه الكمية من الأطعمة سوى الفندق أو أفراد رحلة كبيرة … وليس عند الشاطئ ما يُنبئ عن وجود هذا العدد من الناس!

قال الرجل: إن الرجلين من اليخت «سيسليا» الذي يُلقي مراسيَه بعيدًا عن الشاطئ.

تختخ: آه … إنني أرى اليخت يوميًّا في مكانه … ألا يتحرك من هنا؟!

قال الرجل وهو يضحك: إنه يأتي كل شهر أو شهرين تقريبًا … فصاحبه الإيطالي من هواة الرحلات … وبخاصة إلى شاطئ «سيدي عبد الرحمن».

اكتفى «تختخ» بهذه المعلومات، ودفع «محب» ثمن الزجاجات، ثم انصرفا … وبدا على «محب» أنه يريد أن يتحدث … ولكنه رأى «تختخ» صامتًا يفكر وهما يسيران معًا في اتجاه العودة، وقال «تختخ» فجأة: ما رأيك فيما سمعت؟

محب: هل تشك في شيء؟ إنني شخصيًّا أشك …

تختخ: اليخت «سيسليا» يتردد على الشاطئ كلَّ شهر أو شهرين … صاحبه إيطالي.

محب: والزعنفة التي وجدها «زنجر» صناعة إيطالية!

تختخ: إنك تتسرع في الربط بين المعلومات … فهذا قد لا يعني شيئًا!

محب: وقد يعني أشياءَ كثيرة كما قلت!

تختخ: معك حق … ولكن ماذا نفعل؟ لقد اختفى النقيب «مجدي» والرائد «خيري» ومساعدهما … وهم وحدهم الذين يمكن أن يتحققوا من حكاية هذا اليخت.

محب: شيء مدهش … غيابهم عن مسرح الأحداث بهذا الشكل!

تختخ: أُرجِّح أنهم عثروا على أثر هام قد يرشدهم إلى المهربين، وأنهم مشغولون الآن …

ولم يكد «تختخ» ينتهي من كلامه حتى ظهر الشحاذ يعرج في مشيته مُتجهًا إلى مكانه بجانب الضريح. وتوقَّف الصديقان، وفكَّر «تختخ» لحظات، ثم قال لـ «محب»: انتظرني عند نهاية السوق … سأحاول التَّفاهم مع المخبر المتنكر!

وسار «تختخ» حتى لحق بالشحاذ، ومدَّ يده يُعطيه قرشًا … وتظاهر «تختخ» أن نقوده قد وقعت بالرغم منه، فمال إلى الأرض يجمعها، وشاركه الشحاذ، وقال «تختخ» وهو يقرب رأسه من الشحاذ: إنني أعرف من أنت … وأنا صديق للنقيب «مجدي»!

استمر الشحاذ يجمع النقود التي سقطت دون أن يتكلم، وعاد «تختخ» يقول: إنني أعرف أن النقيب «مجدي» ينزل مُتنكِّرًا في الفندق تحت اسم «عادل مكرم» المحامي، وأريد أن أقابله.

نطق المتسوِّل لأول مرة: لقد قصَّ عليَّ النقيب «مجدي» قصتك … فلماذا تريده؟

تختخ: عندي معلومات قد تكون على جانب كبير من الأهمية في مطاردة عصابة المهربين.

الشحاذ: إن النقيب «مجدي» والرائد «خيري» ذهبا إلى سوق «العلمين» … فقد ظهرت كمية من المخدِّرات هناك مع بعض البدو … وقبض عليهم رجال الحدود، وذهب الضابطان لحضور التحقيق.

تختخ: وهل كنت هناك؟

الشحاذ: نعم … ولكن الرجال الذين قُبض عليهم لا يعرفون شيئًا. كل ما يعرفونه أن شخصًا مجهولًا يحضر إليهم بين فترة وأخرى، ويُخطِرهم بوجود المخدِّرات مدفونة في مكان بعيد، فيذهبون لإخراجها وبيعها، ثم يحضر بعد فترة أخرى لأَخْذ النقود!

تختخ: وأوصاف هذا الشخص؟

الشحاذ: إنه يتغير في كل مرة!

تختخ: ومتى يعود الضابطان؟!

الشحاذ: سيعودان ليلًا!

تختخ: أرجو أن تراقب سيارة «جيب» تأتي إلى هنا لأخذ كمية من الطعام، وحاول أن تجمع أكبر قدر من المعلومات عنها.

ووقف «تختخ» وأسرع إلى حيث كان يقف «محب»، وقال له: سيعود الضابطان الليلة إلى الفندق ... هيا بنا!

كان الظلام قد أرخى سدوله على المنطقة ... وبدا الشارع الطويل الممتد بين السوق والشاطئ مُوحشًا، و«تختخ» و«عاطف» يسيران بسرعة، وكان الطريق يمتد بمحاذاة الشاطئ لا يفصله عنه سوى شريط ضيق من الرمال ... وعندما غادر الصديقان المنطقة المأهولة بالسكان أطبقت عليهما الظلمة ... ولم يعد يبدو في ظلام الليل الدامس إلا أضواء الفندق البعيدة ... وفجأة ظهر ثلاثة أشباح من الماء ... وقبل أن يتمكن الصديقان من أي تصرف، صاح أحد الثلاثة: قفا مكانكما؟ إن مدفعي موجَّه إليكما!

وتوقَّف الصديقان ... والتفتا ناحية الصوت ... ووجدا الأشباح الثلاثة تقترب، وأحدهم يمسك مدفعًا رشاشًا، وكانوا جميعًا يرتدون ملابس الغوص المطاطية السوداء.

قال حامل المدفع: تعاليا معنا!

وأشار إلى الشاطئ ... وكان هناك قارب مطاطي يقف متأرجحًا على صفحة المياه السوداء. ودون مقاومة اتَّجه الصديقان إلى القارب وصعدا إليه. وصعد بعدهما الرجال الثلاثة، وما زال المدفع الرشاش موجهًا إليهما ... وجلس حامل المدفع أمامهما ... على حين أمسك الرجلان الباقيان بالمجاديف ... وبدأ القارب يشقُّ صفحة المياه مسرعًا، وأخذت أضواء الفندق تتضاءل تدريجيًّا ... وساد سكون عميق لا يقطعه سوى صوت المجاديف وهي تضرب صفحة المياه بانتظام.

حياة أو موت

مضى القارب يشق طريقه في المياه، و«تختخ» و«محب» جالسان في صمت، كلٌّ منهما يفكِّر في اللحظات القادمة ... وبينما كان تفكير «تختخ» يمضي في هدوء برغم الموقف المثير ... كان ذهن «محب» يسير بسرعة الصاروخ ... وبعد نحو نصف ساعة بدأت المجاديف تبطئ ... ثم توقفت تمامًا ... وقال حامل المدفع: إننا على بُعدٍ الآن يسمح بإطلاق الرصاص عليكما دون أن يحس أحد ... والمطلوب منكما حتى تنقذا حياتكما ... أن تجيبا عن أسئلتي ... وبخاصة أنت ...

وأشار بطرف مدفعه إلى «تختخ»، ثم مضى يقول: من الذي عثر على الكيس البلاستيك؟

رد «تختخ»: أنا!

الرجل: ولماذا ربطته في الصخور؟

تختخ: لأنه لا يخصني ... وهكذا تركته مكانه.

الرجل: هل أبلغت الشرطة؟

تختخ: لو أبلغنا الشرطة لظهروا على الشاطئ، ولطاردوكم، ولما تعرضتُ أنا لهذه الأزمة.

كان هذا خطأً من «تختخ» لا مثيل له، فقد قال الرجل بسرعة: إذن أنتم تعرفون ماذا في الكيس!

لم يستطع «تختخ» الرد ... فقال الرجل: لقد حكمتما على أنفسكما بالإعدام ... أنتما وبقية أصدقائكما أيضًا.

والتفت إلى الرجل ليُصدر أوامره بالتجديف مرة أخرى ... وكانت لفتته كافية لـ «محب» الذي كان يجلس مُتحفِّزًا، فقد قفز فجأة كالفهد على حامل المدفع، وبضربة قوية من ساقه أطاح بالمدفع في المياه ... ثم ألقى بنفسه على الرجل، وفي الوقت نفسه أطلق «تختخ» ذراعه

بكل قوة في لكمة ساحقة أصابت أحد الرجلين في وجهه وسقط في الماء! واختل توازن القارب، وسقط «محب» والرجل في المياه ... وبقيَ «تختخ» والرجل الباقي في القارب ... ورفع الرجل مجدافه، وهوى به على «تختخ» الذي انحرف جانبًا، فاختلَّ توازن الرجل وسقط في القارب ... ولم يتردد «تختخ» فجذب مجدافًا وهوى به على رأسه، وأصبح «تختخ» وحيدًا في القارب ... وفجأة وجد الرجل الذي أسقطه في الماء يحاول الصعود إلى القارب، وبضربة مجداف أخرى أبعده ثم انحنى ينظر في صفحة المياه السوداء ... ولاحظ على الفور أن «محب» والرجل الثالث يتصارعان في المياه، ويتطاير منهما رشاش الماء ... فأخرج مصباحه الصغير الذي لا يفارقه، ثم أطلق أشعته الرفيعة يبحث ... وشاهد الرجل يمسك برقبة «محب» محاولًا خنقه، وبضربة مجداف ثالثة على رأس الرجل تحررت رقبة «محب» ... وأسرع «تختخ» يناديه فصعد إلى القارب وهو يلهث ...

أسرع «تختخ» يجدف مبتعدًا عن مكان الصراع ... وقال: هل أصبت؟

رد «محب» وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة: لا ... ولكن الرجل كاد يخنقني لولا أن ضربتك وصلت في الوقت المناسب.

تختخ: يجب أن نصل إلى الضابطين بسرعة ... إن عصابة التهريب تحاول تصفية حسابها معنا، وأخشى أن يكونوا قد هاجموا «نوسة» و«لوزة» و«عاطف».

محب: لا أظن ... لقد انفردوا بنا في الطريق المظلم أولًا ... وأعتقد أنهم لم يكونوا ينوون مهاجمة بقية الأصدقاء إلا بعد أن يفرغوا منا.

وانضم «محب» إلى «تختخ» وأمسك بمجداف، وأخذا يدفعان القارب بسرعة على صفحة المياه في اتجاه الفندق.

وصل القارب الأسود الصغير إلى الشاطئ ... وكان بعض الرواد يجلسون يسمرون ويضحكون فأدهشهم وصول القارب ... ثم «محب» بملابسه المبتلة وعلامات الإجهاد الواضحة عليه ... ونظر «تختخ» إلى باب الفندق، ثم صاح: أستاذ «مجدي»!

كان النقيب «مجدي» يخرج من الباب في تلك اللحظة، فسمع اسمه، ولكنه تظاهر بأنَّه لم يسمع ... ولكن «تختخ» لم يتردد، فقد جرى ناحيته هو و«محب» ... وعندما شاهدهما الضابط على هذا الحال توقَّف وأخذ ينظر إليهما مستفسرًا ... وتقدَّم منه «تختخ» وقال: آسف لأنني ناديتك بصوت مرتفع ... ولكن الأمور تتطور بسرعة ... لقد اصطدمنا بالعصابة!

بدا الاهتمام على وجه «مجدي» وقال: كيف؟

وروى له «تختخ» ما حدث ... العثور على الزعنفة ... سرقة الزعنفة ... الذهاب إلى سوق «سيدي عبد الرحمن» ... سيارة «الجيب» ... محاولة قتلهما في القارب وكيف نجوا ... عودتهما ...

قال «مجدي»: إن المعلومات فعلًا في غاية الأهمية ... ولكن كيف يمكن العثور على الرجال الثلاثة الذين سقطوا في المياه؟! إنهم وحدهم الذين يمكن أن يدلونا على بقية العصابة!

تختخ: في إمكاني أن أدلَّك على بقية العصابة!

سأله «مجدي» مندهشًا: كيف؟ أين؟!

أشار «تختخ» بأصبعه إلى اليخت «سيسليا» الرابض في المياه بعيدًا وقال: في هذا اليخت الفاخر!

مجدي: غير معقول ... إنه اليخت «سيسليا» الذي يملكه المليونير الإيطالي «كانارس»، وهو رجل يحبُّ هذا الشاطئ، ويُسمِّيه شاطئ الأحلام.

تختخ: إني لستُ متأكدًا بالطبع، ولكني أشك فقط!

مجدي: آسف جدًّا ... إن معلوماتك أو استنتاجاتك غير صحيحة ... فإن هذا اليخت لا يدخل المياه المصرية إلا بتصريح خاص. ثم يتم تفتيشه جيدًا بعد دخوله المياه المصرية ... فمن أين يأتي بالمخدرات ... وكيف؟!

صمت «تختخ» أمام إصرار الضابط «مجدي»، وفكَّر قليلًا ثم قال: لقد أخبرتك باستنتاجاتنا يا حضرة الضابط وكما ترى ... وسوف أغادر أنا وأصدقائي «سيدي عبد الرحمن» بأسرع ما يمكن ... فحياتنا معرضة للخطر.

واستدار «تختخ» ليعود مع «محب»، وفي تلك اللحظة ظهر الرائد «خيري»، فقال النقيب «مجدي» موجهًا حديثه إلى «تختخ»: انتظر قليلًا.

واستدار «مجدي» إلى «خيري» ... وأخذ يقصُّ عليه المعلومات التي رواها «تختخ» واعتقاده أن اليخت «سيسليا» يعمل في تهريب المخدِّرات.

أخذ الرائد «خيري» يفكر لحظات، ثم قال: لماذا لا نقوم بزيارة لليخت؟

مجدي: الآن؟! ... إن «كانارس» رجل له أهميته، وتفتيش اليخت الآن يعرِّضنا لمتاعب.

خيري: فليكن هذا في الصباح، وسأتصل بالجهات المسئولة الآن تليفونيًّا، وأعرض عليها اقتراحنا بالتفتيش.

التفت «مجدي» إلى «تختخ» قائلًا: سأنتظرك في الثامنة يا «توفيق»؛ فأنا أعلم أنك ترحب بأن تنضم إلينا في التفتيش!

وانصرف «محب» و«تختخ» مسرعَيْن ... فقد بدا «محب» يسعل نتيجة لثيابه المبتلة ... وعندما وصلا قريبًا من الخيمة أحسَّا بالاطمئنان، فقد كان «عاطف» و«نوسة» و«لوزة» و«زنجر» يجلسون أمام الخيمة يتحدثون.

عندما رأت «لوزة» الصديقين صاحت: لقد عادا!

وقفز الجميع بما فيهم «زنجر» لاستقبال «تختخ» و«محب»، وقالت «نوسة»: مالك يا «محب» ... هل سقطتَ في المياه؟!

وابتسم «محب» ولم يُجبْ، وأسرع يدخل الخيمة لتغيير ثيابه ... وأخذ «تختخ» يشرح للأصدقاء ما حدث، وما كاد يَفرُغ من كلامه حتى قالت «لوزة» بضيق: إن ذلك شيء لم يعد يُحتمل ... إنني و«نوسة» لم نشترك في مغامرات منذ فترة، ولن نسمح بذلك بعد الآن!

قالت «نوسة» معاتبة: كيف تقولين هذا الكلام، وقد كادا يُقتلان!

ردت «لوزة» بخجل: آسفة جدًّا ... ولكن منذ فترة طويلة ونحن نقوم بدور المتفرجين في المغامرات.

تختخ: معكِ حق يا «لوزة» ... ولكننا لا نختار أدوارنا ... إن الأحداث هي التي تختارنا ...

نوسة: على كل حال، المهم خدمة العدالة!

تختخ: والآن أريد أن نسرع بالابتعاد عن الخيمة.

نوسة: كيف؟!

تختخ: إنني لا أستبعد أن تهاجمنا العصابة مرة أخرى ... وسنأخذ بعض البطاطين، وننام بعيدًا عن الخيمة، ونرى ما يحدث.

عاطف: ولكن لعلنا مراقبون الآن ... وسيعرفون أين نذهب ويهاجموننا.

تختخ: سنذهب إلى جوار الفندق تمامًا في النور!

وأسرعوا يحملون بعض البطاطين ويبتعدون ... ولكن «تختخ» توقف فجأة، وقال: انتظر أنت يا «زنجر» ... هنا ... وإذا هاجموك فستنبح طبعًا ...

وفهم «زنجر» المطلوب منه ... وقبع أمام الخيمة ... واتَّجه الأصدقاء إلى ناحية الفندق، واختاروا مكانًا بجوار سيارة هناك، ثم فرشوا البطاطين واستلقَوْا عليها، وقال «عاطف»: سأتولى الحراسة الليلة؛ فأنت و«محب» متعبان!

وبعد ساعة كان الجميع قد استغرقوا في النوم، وبقي «عاطف» ساهرًا ... وكانت عيناه تلقيان نظرة بعيدة على اليخت الذي كان مُضاء الأنوار ... ومضت الساعات وبين فترة وأخرى كان «عاطف» ينظر في ساعته، وبعد الثانية بدأ النعاس يداعب عينيه ... فأخذ

يفركهما بيديه حتى يستمر في اليقظة ... وفكر أن يوقظ «تختخ» أو «نوسة» ... ولكن حدث ما جعله يُفيق دفعة واحدة ... ويكون في غاية اليقظة ... لقد خُيِّل إليه أنه شاهد اليخت يتحرك ... وفرك عينيه جيدًا حتى لا يكون واقعًا تحت تأثير خداع البصر من كثرة تحديقه في أنوار اليخت ... وعندما تأكَّد تمامًا أن اليخت يتحرك فعلًا أسرع يوقظ «محب» و«تختخ»، واستيقظت «لوزة» و«نوسة» ... وقال «عاطف» بصوت واضح: اليخت يتحرك خارجًا!

وقفز «تختخ» على قدميه، وكذلك فعل «محب»، وقال «تختخ»: سأذهب لإيقاظ الضابطين!

وأسرع «تختخ» يدخل الفندق ... واعترضه موظف الاستقبال، ولكن «تختخ» قال له: إن هناك مسألة حياة أو موت ... وأريد مقابلة «عادل مكرم» المحامي فورًا!

الموظف: وما دخل المحامي بهذه المسألة؟!

ولم ينتظر «تختخ» لحظة أخرى ... فقد قفز يجري على السلالم متجهًا إلى الدور الثالث حيث يقيم النقيب «مجدي»، ودقَّ بابه بعنف ... وكان موظف الاستقبال قد وصل، وأخذ يجذب «تختخ» بعيدًا ... ولكن «مجدي» كان قد استيقظ، وخرج ليرى ما حدث ... وشاهد موظف الاستقبال وهو يجذب «تختخ» بعيدًا، فصاح به: اتركه من فضلك!

وأسرع «تختخ» إلى «مجدي» وقال: اليخت يتحرك!

وفي لحظات كان «مجدي» قد ارتدى ثيابه ... بعد أن طلب من «تختخ» إيقاظ الرائد «خيري» وسرعان ما كان الثلاثة يغادرون الفندق ... وقال «مجدي»: ليس أمامنا إلا زورق خفر السواحل للحاق باليخت!

تختخ: وأين هو؟

مجدي: على بعد نحو ثلاثة كيلومترات من الفندق.

وأسرع الثلاثة يجرون ... وخلفهم كان «محب» و«عاطف» يجريان أيضًا، وبعد فترة من الجري السريع وصلوا جميعًا إلى الزورق، وقفزوا فيه بعد أن شرح «مجدي» الموضوع لضابط حرس السواحل.

أسرع الزورق الخفيف يشق المياه كالصاعقة، وكان اليخت قد قطع مسافة طويلة ولكن زورق السواحل عوَّض المسافة بسرعة ... وبعد نصف ساعة كان قد اقترب من اليخت ... ووقف ضابط حرس السواحل مناديًا اليخت بالوقوف.

ومال «تختخ» على «عاطف» قائلًا: إنه لن يقف طبعًا!

ولكن لدهشتهم الشديدة توقَّف اليخت ... وسرعان ما كان الزورق يقف بجواره، وقفز الجميع إلى اليخت الذي كان قائده يقف وعلى وجهه علامات الدهشة ... وقال بالإنجليزية مُحدِّثًا ضابط السواحل: ماذا هناك؟

وقال الضابط: آسف لإزعاجكم ... ولكن سنُفتِّش اليخت!

القائد: تُفتشون اليخت؟! ولكن لماذا؟

الضابط: ستعرف بعد قليل!

وانتشر رجال السواحل داخل اليخت يفتشون، على حين صعد المليونير «كانارس» إلى سطح اليخت، وقد بدا عليه الغضب الشديد ... ولكنه تمالك نفسه بعد لحظات، ووقف ينظر إلى المياه في هدوء.

وقف «تختخ» و«محب» و«عاطف» على سطح اليخت ينتظرون نتيجة التفتيش ... وكان «تختخ» يحاول أن يبدوَ هادئًا ... ولكنه كان في منتهى القلق ... ماذا لو أسفر التفتيش عن خُلوِّ اليخت من المخدِّرات؟!

وعندما مرت ساعة وظهر رجال السواحل الذين قاموا بالتفتيش، أحسَّ «تختخ» بقلبه يسقط بين قدميه ... فقد كانت وجوههم تُنبئ عن خيبة الأمل ... ونظر ضابط السواحل إلى النقيب «مجدي» ... ونظر النقيب «مجدي» إلى «تختخ»، وقال المليونير «كانارس» بهدوء ولكن بسخرية: لعلَّ اليخت يكون قد أعجبكم!

ولم يرد أحد ... وعاد المليونير يقول: إنني مندهش ... وسأتقدَّم للسلطات المصرية بشكوى مما حدث!

ردَّ الرائد «خيري» بضيق: لقد كنا نؤدي واجبنا يا سيدي ... وفي استطاعتك أن تتقدم بالشكوى التي تتحدث عنها ... لقد كانت عندنا معلومات أن اليخت يُستخدم في التهريب.

كان ضابط السواحل يقف بجوار «تختخ»، فسأله «تختخ»: هل اطلعت على سجل اليخت؟

قال الضابط: طبعًا!

تختخ: ما هي الرحلات التي قام بها؟

الضابط: رحلات بين بيروت والإسكندرية كل شهر ... وبين الإسكندرية وإيطاليا كل شهرين!

تختخ: أليست هذه الرحلات مثيرة للشبهات؟

الضابط: فعلًا ... فإن «بيروت» أكبر مركز لتهريب المخدِّرات في المنطقة، ولكن اليخت خالٍ تمامًا من أي أثر للمخدِّرات.

تختخ: لعلهم تخلصوا منها.

الضابط: هذا ممكن ... ولكن ماذا في إمكاننا أن نفعل!

تذكَّر «تختخ» كيس البلاستيك الذي يشبه الصاروخ الصغير ... والشحم الكثير الذي كان يُغطيه، وسمع الرائد «خيري» وهو يقول: هيَّا بنا!

وبدأ الجميع يتحركون لمغادرة اليخت الفاخر ... ورأس «تختخ» يموج من داخله بالأفكار ... صاروخ صغير مُغطًّى بالشحم ... وفجأة قفز إلى ذهنه سؤال وجَّهه لضابط السواحل: ألم تعثروا على ملابس للغوص؟!

قال الضابط: لا ... ولو عثرنا عليها، فماذا تعني بالنسبة لما جئنا من أجله؟

قال «تختخ»: يا حضرة الضابط ... أؤكد لك أن هناك مخازن سرية في هذا اليخت.

الضابط: لقد فتشنا كل مكان ... وليس هناك أثر لمخازن سرية مطلقًا.

وتحرك الضابط مبتعدًا، وذهن «تختخ» يعمل بسرعة رهيبة ... لماذا على شكل صاروخ؟! ولماذا الشحم؟! وفجأة صاح: إنها تحت ... إنها تحت اليخت!

وتوقف الجميع عندما صرخ ... والتفت إليه ضابط السواحل متضايقًا، ولكن «تختخ» عاد يقول بصوت مرتفع: إن المخزن تحت سطح الماء!

وصاح «كانارس» بغضب: إنني لن أسمح بتفتيش آخر لليخت ... وأطلب منكم فورًا مغادرته!

قال الرائد «خيري» بهدوء: سنفتش اليخت مرةً أخرى!

وصاح ضابط السواحل برجاله: لينزل أحدكم لقياس غاطس اليخت!

وأطلق زورق السواحل أضواءه على جانب اليخت، وقفز أحد الرجال إلى الماء ثم غطس ... وحبس الجميع أنفاسهم عندما ظهر بعد لحظات وصاح: إن الغاطس أطول من المعتاد!

وفي هذه اللحظة سمع الجميع صوت ارتطام جسم بالماء ... وعندما التفتوا إلى حيث كان «كانارس» ... لم يجدوه ... لقد قفز إلى المياه من الجانب المظلم لليخت بعيدًا عن عيون رجال السواحل!

وسرعان ما قفز خلفه عدد من الرجال، على حين وقف عدد آخر من الجنود بالمدافع الرشاشة. بعد أن صدر الأمر بالعودة إلى الشاطئ!

في صباح اليوم التالي ظهر الرائد «خيري» والنقيب «مجدي» أمام خيمة الأصدقاء وهما يبتسمان ... وقال «خيري»: لقد وضعنا يدنا على أخطر عصابة لتهريب المخدِّرات ... عصابة

«كانارس» المليونير المزعوم ... لقد كان يُسمي شاطئ «سيدي عبد الرحمن» شاطئ الأحلام ... ولكنه حوَّله إلى شاطئ السموم!

قال «تختخ» بلهفة: هل عثرتم على المخازن؟

خيري: طبعًا ... كما قلت بالضبط ... إنها مخازن تحت الغاطس ... أي الجزء الغاطس من السفينة تحت مستوى الماء، وقد كان اليخت يذهب إلى «بيروت» حيث يملأ هذه المخازن بالمخدرات على شكل أنابيب مثل الصواريخ ... يقذفها جهاز خاص في اليخت إلى المكان الذي يريده المهربون بعيدًا عن أعين رجال السواحل ... ثم تدفن المخدِّرات في مكان مجهول، ويقوم أحد البحارة بإخطار المهربين الصغار ليحملوها إلى داخل البلاد.

عاطف: إنها فكرة خطيرة حقًّا.

مجدي: طبعًا ... فقد كان رجال السواحل يفتشون اليخت في كل مرة يدخل فيها المياه المصرية دون أن يجدوا شيئًا ... إنكم أولاد مدهشون حقًّا.

خيري: ولكن كيف خطرت لك فكرة المخازن التي تحت الماء يا «توفيق»؟

تختخ: عندما تذكرتُ شكل الكيس البلاستيك ... لقد كنا نقول إنه يشبه الصاروخ ... وهو يشبه الطوربيد الذي تطلقه الغواصة ... فالطوربيد ليس إلا صاروخًا مائيًّا ... وكذلك عندما تذكرت الشحم ... إن المقصود بالشحم هو سهولة قذف طوربيد المخدِّرات في الماء ليستقر حيث يريدون، ثم قويت شبهتي برحلات السفينة المتكررة إلى «بيروت»!

مجدي: إنك مغامِر ممتاز ... وسوف أكتب في تقريري إلى المفتش «سامي» عن المساعدات القيمة التي قدمتَها أنت وزملاؤك!

قالت «لوزة» ضاحكة: لا تنسَ «زنجر» من فضلك ... إن الزعنفة التي عثر عليها كانت أول خيط إلى العصابة.

وضحِك الجميع، وهزَّ «زنجر» ذيله راضيًا.

